بلاغة الكناية في
ديوان الخيل في الجاهلية

دكتور

عبد الله عبد الغني سرحان

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أود

هنا أن استعير بعض كلمات كتبتها في مطلع بحث سابق ، وهي ضروريةٌ جدا كي يتعرف القارئ الكريم على ماهية بحثنا هذا .

« في مرحلة التخصص " الماجستير " كان عنوان رسالتي " تشبيهات الخيل في الشعر الجاهلي " ، والرسالة ـ كما هو واضح ـ اقتصر الحديث فيها عن تشبيهات الخيل فحسب .

وبعد حينٍ من الزمان عاودتُ النظر في هذه الرسالة السابقة (١) فاستبان لي أنه قد فاتني الكثير من تشبيهات الخيل في الجاهلية بسبب عدم توفُّر بعض الدواوين الجاهلية آنذاك ، والتي ظهرت حديثا ، وكذا عدم توافر كثير من دواوين القبائل التي جمعها مؤلفوها من بطون الكتب المطبوعة والمخطوطة ، والتي ظهرت حديثا أيضا .

وهنا عقدت العزم ، وأخذت على كاهلي إعادة النظر في هذه الدواوين ، وأشعار تلك القبائل وغيرهما من الكتب والموسوعات التي توفرت لي الآن .

ولاح لي أمر آخر هو ألا أقتصر على جمع بقية التشبيهات التي لم تكن متاحة آنذاك ، ولكن أتوسع في جمع كل كبيرة وصغيرة قيلت عن

---

(١) نوقشت هذه الرسالة في كلية اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٩٣م ، وهي مخطوطة فيها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخيل على ألسنة الشعراء الجاهليين .

ولا أخفي القارئ الكريم أني ظننتُ هذا أمرا يسيرًا لا يحتاج مني إلى عناء ووقت طويل ، وبخاصة أنني متمرس على قراءة هذا الشعر ، واستخراج أوصاف الخيل منه .

هكذا كان الظن في بداية الأمر ، ولكن حين دخلتُ المعمعة اتسع الأمر اتساعا كبيرًا، ولم يكن بدٌّ من مواصلة البحث والتقصي الذي أخذ مني ما يقرب من عامين كنت أواصل العمل فيهما دون كلل أو ملل أقرأ وأدقق ، وأراجع وأمحص إلى أن وفقني المولى عز وجل ، واستقصيت كل الأشعار التي وقعت تحت يدي عن الخيل في الجاهلية من هذا الكم الضخم من المراجع التي أتيحت لي الآن .

وقد تمخض هذا كله عن ديوانٍ كبير للخيل في الجاهلية اقتربت صفحاته من الألف صفحة ، وقد طبعته مؤخرا ، وبلغ فيه عدد الشعراء الجاهليين والمخضرمين الذين نظموا شعرهم في الجاهلية ستمائة وثلاثين شاعرًا تقريبا ، وغير ذلك كما بينته في مقدمة هذا الديوان [1] ، وقد سميت هذا العمل " ديوان الخيل في الجاهلية جمع وشرح وتحقيق " » [2] .

---

(١) انظر مقدمة ديوان الخيل في الجاهلية للمؤلف ص ٥ : ١١ .

(٢) انظر بلاغة الاستعارة في ديوان الخيل في الجاهلية للمؤلف بتصرف ص ٢ ، ٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونتيجة لهذا الاستقصاء استطعت – بحمد الله – أن أجمع بقية التشبيهات التي فاتتني في مرحلة التخصص ، وكذلك وقفت على جميع الاستعارات في هذا الديوان ، ودرستها في دراسة سابقة بعنوان " بلاغة الاستعارة في ديوان الخيل في الجاهلية " .

كما وقعت عيناي على كنايات كثيرة في أوصاف الخيل فطرأ لي أن استكمل دراستها أيضا ، وأُجَلِّيَهَا للقارئ الكريم كما جَلَّيْتُ له من قبلُ كثيرا من التشبيهات ، وكل استعارات الخيل في الجاهلية ، وبذا أكون قد وفيت الصورة البيانية من تشبيهات واستعارات وكنايات حقها في ديوان الخيل .

هذا ، وقد استقصيت كل الكنايات في ديوان الخيل حسب الجهد والطاقة وقمت بدراستها وفق منهجٍ يتفق مع طبيعة هذه المادة العلمية ، وسميتها " بلاغة الكناية في ديوان الخيل في الجاهلية " وهو البحث الذي بين أيدينا .

وبعد طول نظر في هذه المادة العلمية تراءى لي أن أنهج في دراستها النهج التالي :

١– إلقاء الضوء في تمهيدٍ موجزٍ على ماهية الكناية وعلاقتها وقرينتها وأقسامها ؛ ليكون القارئ الكريم على ذُكر منها عند متابعة تحليلاتنا لها .

٢– دراسة الكنايات حسب أقسام الكناية المختلفة عند البلاغيين المتأخرين (كناية عن صفة، وموصوف، ونسبة) ، وتقديم نبذة بلاغية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موجزة بين يدي كل قسم من هذه الأقسام ، ثم بيان عدد الكنايات التي أحصيتها لكل قسم في ديوان الخيل ، وقد بدا لي أن أدرس هذه الكنايات تحت تلك التقسيمات السابقة لأمرين: الأول: بيان أي أقسام تلك الكنايات كان أكثر ورودا من غيره عند الجاهليين ، ولن يتم هذا إلا بفصل كنايات كل قسم عن الآخر في الدراسة .

الثاني: تمييز الكنايات الخاصة بكل قسم على حدة فيه مدعاة لأن يستفيد منها المنظرون في مؤلفاتهم البلاغية في استمداد قواعدهم، وتكثير أمثلتهم لطلابهم ، وعدم الاقتصار على الأمثلة المأثورة المكررة التي لا تربي الذوق الوجداني من كثرة ترددها.

٣ــ استمداد معاني كلمات الأبيات من شروح الدواوين وبعض المعاجم مع التصرف فيها أحيانا من الباحث .

٤ــ تحليل الكنايات تحليلا بلاغيا يكشف عن أسرارها ، ويبرز مقدرة الجاهلي في استخدامها في التعبير عن مشاعره تجاه أفراسه تعبيرا صادقا وأمينا .

٥ــ ربط تحليل الكنايات بسياق أوصاف الخيل ، وبيان مدى ملاءمتها لهذا السياق ، أو بعدها عنه .

٦ــ الاكتفاء بتحليل كناية واحدة من الكنايات المتحدة لفظا ومعنى مراعاة للإيجاز، وعدم التطويل على القارئ الكريم ، ونظرًا أيضا لضيق المساحة المخصصة لكل بحث في مجلة كليتنا الغراء .

٧ــ الاكتفاء غالبا بتحليل كناية واحدة من الكنايات المتقاربة في الصياغة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مع المقارنة بين هذه الكنايات حسب مقتضيات الأحوال .

٨ ـ دراسة كل الكنايات المتفردة مبنى ومعنى على ألسنة الشعراء في الجاهلية والإشارة إلى تفردها وعدم نسج الجاهليين على منوالها .

٩ـ عرض الكنايات المكررة لفظا ومعنى أولا ، ثم المتقاربة في الصياغة ثانيا ثم المتفردة مبنى ثالثا .

١٠ـ الإشارة في الحاشية إلى موضع الكنايات من ديوان الخيل ليتسنى للقارئ الكريم الرجوع لتراجم الشعراء ومعرفة أخبارهم .

ومن ثم جاءت خطة البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة .

المقدمة : تتحدث عن دوافع البحث ومنهجه وخطته .

التمهيد : نبذة بإيجاز عن ماهية الكناية وعلاقتها وقرينتها وأقسامها .

المبحث الأول : بلاغة الكناية عن صفة في ديوان الخيل في الجاهلية .

المبحث الثاني : بلاغة الكناية عن موصوف في ديوان الخيل في الجاهلية

المبحث الثالث : بلاغة الكناية عن نسبة في ديوان الخيل في الجاهلية .

الخاتمة : وفيها أبرز نتائج البحث .

والله ولي التوفيق ،،،

د/ عبد الله عبد الغني سرحان

السعودية ـ أبها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمهيد

أود هنا إلقاء الضوء سريعا على ماهية الكناية وعلاقتها وقرينتها قبل أن نشرع في الحديث التفصيلي عن الكنايات في ديوان الخيل فنقول :

الكناية فن خلاب ورائع من فنون البيان العربي، وتعد ركيزة قوية من ركائزه، وهي كما قال الإمام عبد القاهر من« الأقطاب التي تدور البلاغة عليها، والأعضاد التي تستند الفصاحة إليها ، والطِّلبة التي يتنازعها المحسنون ، والرِّهان الذي تُجَرَّبُ فيه الجياد ، والنِّضَالُ الذي تعرف به الأيدي الشداد ، وهي التي نوه بذكرها البلغاء ، ورفع من أقدارها العلماء ، وصنفوا فيها الكتب ، ووكلوا بها الهمم ، وصرفوا إليها الخواطر، حتى صار الكلام فيها نوعًا من العلم مفردا »[1].

وقد اختلف البلاغيون في تعريفها على صياغات شتى لكنها متقاربة من بعضها عند إنعام النظر فيها، ونكتفي هنا بما حدها به إمام البلاغة في قوله : « أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنًى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ، ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: " هو طويل النجاد " يريدون طويل القامة ، و " كثير رماد القدر " يعنون كثير القرى ، وفي المرأة " نؤوم الضحى " ، والمراد أنها مترفة مخدومة ، لها من يكفيها أمرها . فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى، ثم لم يذكروه

(١) دلائل الإعجاز تحقيق شاكر ٥٢٠ ، ٥٢١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر ، من شأنه أن يردفه في الوجود ، وأن يكون إذا كان . أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد ، وإذا كَثُر القرى كثر رماد القدر ؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى » (١) .

وأسلوب الكناية شأنه شأن المجاز لا بد فيه من علاقة وقرينة إلا أن علاقة وقرينة الكناية تفترقان وتتمايزان عن علاقة وقرينة المجاز ، فعلاقة الاستعارة هي المشابهة ، وعلاقة المجاز المرسل هي غير المشابهة ، أما « العلاقة التي تربط بين المعنى المراد – وهو المعنى الكنائي – وبين المعنى الأصلي الذي كُني به هي علاقة التلازم سواء كان منشأ التلازم عادة مشتهرة، كعادة إيقاد النار لإرشاد الضيوف عند كرماء العرب ... أو كان منشؤه طبيعة مستقرة في إنسان أو حيوان كطبيعة تقطيب الوجه عند الإنسان إذا غضب ، وطبيعة النباح في الكلب إذا لم يأنس ، وتركه النباح إذا أنس ... أو كان منشؤه اختصاص فعل من الأفعال بنوع من الناس كاختصاص خضاب الكف بالنساء ، وحمل السلاح بالرجال كما قال الشاعر :

وَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ قَنَاةٌ كَمَنْ فِي كَفِّهِ مِنْهُمْ خِضَابُ

---

(١) دلائل الإعجاز ٦٦ ، وانظر نقد الشعر لقدامة ١٥٧ ، والصناعتين للعسكري ٣٦٠ ، والعمدة لابن رشيق ٣١٣/١ ، ومفتاح العلوم للسكاكي ٥١٢ ، والإيضاح للقزويني ٣٦٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى غير ذلك من أنواع التلازم العقلي أو العرفي » (١) .

وبذلك تكون « العلاقات في الكناية علاقات لزومية عقلية أو عرفية أو بيانية أو ما شئت من أنواع العلاقات»(٢) فعلاقة الكناية – كما نرى – تختلف عن علاقة المجاز المرسل والاستعارة ، أو بعبارة أدق لكل نوع من هذه الأنواع علاقة لها طابع خاص يميزها عن غيرها .

أما قرينة الكناية فلها سمت معين كذلك تتمايز به عن قرينة المجاز ، فقرينة المجاز قرينة مُعَانِدَةٌ بطبيعتها يستحيل معها الجمع بين المعنى الحقيقي والمجازي ، أما قرينة الكناية فهي بطبيعتها غير مانعة من إرادة المعنى الأصلي فيمكن أن يراد المعنى الحقيقي مع الكنائي ، وإذا استحال في بعض الأساليب المعنى الحقيقي فليس هذا راجعا لطبيعة القرينة بل لعارض خارجي خاص بمادة الكناية ذاتها لا من القرينة نفسها.

وعلى الرغم من أن للكناية علاقة وقرينة مثلما للمجاز تماما بتمام لكنَّ كثيرًا من البلاغيين (٣) لم يدرجوها في المجاز صراحة؛ لأن قرينة المجاز قرينة معاندة تأبى بطبيعتها الجمع بين المعنيين ، أما قرينة الكناية فهي قرينة غير مانعة للمعنى الأصلي.

---

(١) الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٢) التصوير البياني د/ محمد أبو موسى ٤١٣ .

(٣) هذه المسألة محل خلافات طويلة في كتب البلاغة لا يتسع المقام لذكرها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبذلك يتضح لنا مما سبق أن الكناية لابد فيها من توافر عدة عناصر :

١ــ اللفظ المكني به وهو المذكور في العبارة ٢ــ المعنى المكني عنه المستتر غير المذكور ، وهو المراد بقول الشيخ عبد القاهر معنى المعنى ٣ ــ العــلاقة التي تكون بين المكنى به والمكنى عنه ٤ــ القرينة غير المانعة من إرادة المعنى الحقيقي على نحو ما سبق توضيحه .

والكناية شأن غيرها من ألوان البيان لها أسرار عامة تتحقق في كثير من الأساليب كما أن لها أسرارًا خاصة تتولد من طبيعة كل أسلوب ، ولا تظهر إلا بتحليلها والغوص في أرجائها ، ويتعرف عليها كل من لَطُف طبعه ، وصفت قريحته البيانية .

هذا ، ومن يتأمل حديث البلاغيين في أقسام الكناية يجــد أنهــم قسموها من حيث النظر إلى معنى المعنى أو المكني عنه أقساما ثلاثــة (كناية عن صفة ــ كناية عن موصوف ــ كناية عــن نــسبة) ، وهــذه التقاسيم وجدتها واضحة بنسب متفاوتةٍ كثرة وقلة وندرة في ديوان الخيل [1] ، وسوف نلقى الضوء بإيجاز عن ماهية كل قسم في المبحث الخاص به .

---

(١) بلغ عدد الكنايات في ديوان الخيل ١٩٤ كناية ، ولا أزعم أني أحصيتها كلها إحصاء تاما ، ولكني أؤكد أنني ما تركت منها شيئا عامدا ؛ لأن أسلوب الكناية أسلوب احتمالي قد يختلف الباحثون في النظر إليه عكس التشبيه ، وكثير من مسائل الاستعارة التي لا يُختلف فيها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول : بلاغة الكناية عن صفة في ديوان الخيل .

ضابط الكناية عن صفة : هو أن يُذكَرَ الموصوف ثم يُنسب لهذا الموصوف صفة ما ، ولكنَّ هذه الصفة المذكورة غير مرادة ، وإنما المراد هو لازم تلك الصفة فمثلا حين نقول : " فلانة نؤوم الضحى " فقد ذكرنا الموصوف وهو فلانة ، ثم نسبنا له صفة وهي نؤوم الضحى ، وهذه الصفة غير مرادة هنا بل يراد لازمها ، وهي أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها ، فالمعنى الظاهر أو الملفوظ يلزم منه هذا المعنى المختفي أو الملحوظ .

وبهذا يتبين أن الكناية عن صفة لا بد فيها من ثلاثة أمور : موصوف وصفة ونسبة ، ولكنَّ الصفة المذكورة غير مرادة ، ولكنْ كُنِّيَ بها عن صفة تلزمها .

وهذا القسم من حيث النظر إلى سرعة إدراكه ، أو بعده عن ذهن المخاطب ينقسم إلى كناية قريبة ، وكناية بعيدة ، والقريبة تنقسم إلى كناية ظاهرة تُدرك للوهلة الأولى من اللفظ المذكور ، فهي لا تحتاج لأناة وطول تفكير لوضوحها وسهولة استنتاجها ، وكناية خفية بعض الشيء تحتاج لتفكير ليس بطويل .

أما الكناية البعيدة فهي ذات وسائط عديدة ، وهي تحتاج في إدراكها إلى تأمل وتمعن وطول تفكر ، ولا يصل إليها إلا من يغوص عليها ، ويتغلغل في أساليبها .

وبتتبع الكنايات عن صفة في ديوان الخيل وجدتها اشتملت على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه التقسيمات السابقة كلها ، ولكن بتفاوت كما سيتبين ، كما أن الكناية عن صفة في ديوان الخيل تتميزُ بأنها أكثر الكنايات كمًّا حيث بلغ عدد مواضعها ١٥٨ موضعا .

هذا ، وبعد استقرائي للكنايات عن صفة في ديوان الخيل لاحظت أن المكني به ــ اللفظ المذكور ــ جاء حسيا فحسب ، كما لاحظت أن المكني عنه ــ غير المذكور ــ جاء حسيا ومعنويا ، وسوف نتعامل في إيراد الكنايات هنا حسب المكني عنه الذي يقصد إليه الشاعر ، ونبدأ بصور الكنايات الحسية ، ثم تتلوها صور الكنايات المعنوية .

أولا : الكنايات الحسية .

لو تأملنا الكنايات الحسية لوجدناها ثلاثة أنواع : كنايات عن جملة هيئة الفرس وكنايات عن أحد أعضاء الفرس ، وكنايات تتعلق بالفرس غير هذين .

أولا : الكنايات عن جملة الفرس ، وورد في هذا النوع سبع صور .

الصورة الأولى : الكناية عن الضمور .

وجاءت هذه الكناية في ديوان الخيل في أحد عشر موضعا ، ولم تتفق تلك الكناية عند الشعراء في نظمها بل جاءت متطابقة في صياغتها في مواضع ، ومتقاربة في مواضع ، ومتفردة في مواضع أخرى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١ــ قال طفيل الغنوي يصف جواده من قصيدة فخرية [١] :

بِسَاهِمِ الْوَجْهِ لَمْ تُقْطَعْ أَبَاجِلُهُ يُصَانُ وَهْوَ لِيَومِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ

ساهم الوجه : قليل لحم الوجه لطول غزوه وعتقه . لم تقطع أباجله : لم يصبه داء يقطعه البيطار ، وهو العالم بأحوال الخيل وأدوائها، والأبجل : « عرق في ذراع البعير والفرس بمنزلة الأكحل من الإنسان»[٢] .

وقوله: " بِسَاهِمِ الْوَجْهِ " كناية عن ضموره وخفته؛ لأن قلة لحم الوجه تعني أنه جواد ضامر رشيق غير مترهل ، وهي كناية قريبة ظاهرة سهلة الاستنتاج كما ترى .

وخص الوجه لأنه يبدو عليه ــ أكثر من غيره ــ علامات النعمة والسمنة ، أو الضمور والخفة ، وهذا مشاهد بجلاء في بني البشر كذلك.

وسهوم الوجه في الخيل ــ بوجه عام ــ مما يتمدح به ، وهو أمارة على العتق والنجابة ، وهذا بخلاف سهوم الوجه في بني آدم فقد ينبئ عن الضعف والوهن ، وقد يرمز إلى الهم والكآبة والحزن ، قال أبو خراش [٣] :

---

(١) ديوان طفيل الغنوي ٨١ ، والأنوار ومحاسن الأشعار ١٣٩ ، وديوان الخيل٢ / ٤٩٥ .

(٢) المعجم الوسيط ٤٠/١ .

(٣) ديوان الهذليين ١٥٢/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَأَنْ قَدْ بَدا مِنِّي لِمَا قَدْ أَصَابَنِي مِنَ الْحُزْنِ أَنِّي سَاهِمُ الْوَجْهِ ذُو هَمِّ

وهذا البيت قد نال نصيبا وافيا من حديث البلاغيين القدماء (١) لاحتوائه على طباق من نوعين مختلفين بين الفعل " يُصَانُ " والاسم " مبذول " فليرجع إليه من أراد خشية الإطالة ، ولا يخفى أثر الطباق وما يقوم عليه من تضاد في الكشف عن قناع المعنى هنا بوضوح ، وهذه الكناية قد تكررت بحذافيرها عند أكثر من شاعر فجاءت على لسان امرئ القيس في قوله (٢) :

وَخَرْقٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفْرٍ مَضَلَّةٍ قَطَعْتُ بِسَامٍ سَاهِمِ الْوَجْهِ حُسَّانِ

وعلى لسان عدي بن زيد في قوله (٣) :

تَأَيَّيْتُ مِنْهُنَّ الْمَصِيرَ فَلَمْ أَزَلْ أُيَسِّرُ طِرْفًا سَاهِمَ الْوَجْهِ فَارِعَا

وعلى لسان عدي بن زيد أيضًا في قوله (٤) :

وَمُنْجَرِدٍ كَالسِّيدِ شُذِّبَ لَحْمُهُ أَمِينُ الْفُصُوصِ سَاهِمُ الْوَجْهِ ذِي خَالِ

وعلى لسان لبيد بن ربيعة في قوله (٥) :

---

(١) الصناعتين ٣٢١ ، والعمدة ٦/٢ ، وسر الفصاحة ٢٠٢ ، والإيضاح ٣٨٤ .

(٢) ديوان امرئ القيس ٩٢ ، وديوان الخيل في الجاهلية ١/ ١٢٢ .

(٣) ديوان عدي بن زيد ١٤٠ ، وديوان الخيل في الجاهلية ٥٦٧/٢ .

(٤) الخيل لأبي عبيدة ١٩٦، ولم يورد جامع شعر عدي هذا البيت في ديوانه .

(٥) ديوان لبيد بن ربيعة ١٤٤، وهذا البيت لم أذكره في ديوان الخيل وهو مما استدركته على نفسي .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مُقْبِلٌ الْحَارِكِ مَحْبُوكُ الكَفَلْ مُقْبِلُ الوَجْهِ شَدِيدٌ أَسْرُهُ

٢- وقال عامر بن الطفيل من مقطوعة فخرية واصفا الخيل [١]:

تَعْلَمُ الْخَيْلُ الْمُغِيرَةُ أَنَّنَا إِذَا ابْتَدَرَ النَّاسُ الْفَعَالَ أُسُودُهَا

عَلَى رَبِذٍ يَزْدَادُ جُودًا إِذَا جَرَى وَقَدْ قَلِقَتْ تَحْتَ السُّرُوجِ لُبُودُهَا

الربذ : الحصان السريع. جودا : نشاطا. أي أنه كلما جرى يزداد نشاطا. اللبود الواحد لبد ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج . قلقت لبودها : ماجت واضطربت

فقوله : " وَقَد قَلِقَتْ تَحْتَ السُّرُوجِ لُبُودُهَا " كناية عن الضمور ؛ لأنه يلزم من اضطراب اللبود تحت السروج هذا المعنى التصويري الكنائي بوضوح.

والشاعر ــ كما رأينا ــ لم يذهب مباشرة إلى المكني عنه ، ولكنه توصل إليه بذكر تركيب يلزم منه هذا المعنى الكنائي ، وذاك أبهى وأنبل وأبلغ في إثبات المعنى مما لو ذكره غفلا ساذجا بادئ الأمر ، وفي أمثال هذا يقول الإمام عبد القاهر : « فنحن وإن كنا نعلم أنك إذا قلت : " هو طويل النجاد وهو جم الرماد " ، كان أبهى لمعناك ، وأنبل من أن تدع الكناية ، وتصرح بالذي تريد » [٢] .

وفي اتباع تلك الطريقة أيضا تصوير للمعنى بإقامة الدليل عليه

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٤٥ ، وديوان الخيل ٢/٥١٠ .

(٢) دلائل الإعجاز تحقيق شاكر ٧٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مما لا تقدر الحقيقة المجردة أن تصوره لو قال : هو ضامر ، وفي الكناية أيضا إشارة إلى كثرة الغزوات والحروب التي خاضها هذا الجواد حتى صار على تلك الهيئة .

واصطفاء لفظة " قَلِقَتْ " هنا دقيق جدا كذلك؛ لأنها لا تشير إلى الحركة فحسب ولكنها تحكيها بصوتها بدقة حيث يشير حرف القاف المكرر إلى شدة التقلقل ، وعدم التماسك ، وبذلك تناغمت الكناية مع عناصرها اللفظية أتم تناغم ، وهي كناية لم تتكرر بنصها بل ورد قريب منها على لسان لبيد بن ربيعة واصفا فرسه في قوله [1] :

رَفَعْتُهَا طَرَدَ النَّعَامِ وَشَلَّهُ ... حَتَّى إِذا سَخِنَتْ وَخَفَّ عِظَامُهَا [2]

قَلِقَتْ رِحَالَتُهَا وَأَسْبَلَ نَحْرُهَا ... وَابْتَلَّ مِنْ زَبَدِ الْحَمِيمِ حِزَامُهَا [3]

فقوله : " قَلِقَتْ رِحَالَتُهَا " كناية عن ضمورها وخفتها ، وهي

(١) ديوان لبيد بن ربيعة ١٧٧ ، وديوان الخيل ٧٣٢/٢ .

(٢) رفعتها: حثثتها، والمعنى : حتى إذا غربت الشمس حثثت هذه الفرس فمرت تعدو كعدو النعام . الشل : السوق . سخنت : عرقت فخفت للعدو . خف عظامها : أعضاؤها .

(٣) الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الشاء بأصوافها يتخذ للجري الشديد . أسبل نحرها : عرقت فخفت للعدو . الحميم : أصله الماء الحار وهو هنا العرق ، ونزول العرق من الفرس السليم علامة على تمام صحته وأمارة على شدة سرعته . قلقت : جواب إذا سخنت في البيت قبله .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كناية مكررة بصياغة قريبة مما سبق لمن يتأمل .

٣ـ وقال طفيل الغنوي يصف فرسه من قصيدة وصفية (١) :

وَتَمْشِي إِلَى أَجْوَازِهَا وَتَقَلْقَلَتْ قَلَائِدُ فِي أَعْنَاقِهَا لَمْ تُقَضَّبِ

الأجواز : الأوساط . تقلقلت : تحركت . يريد أنها كانت سمانا فكانت القلائد كفاف الأعناق ، فلما ضمرت اضطربت القلائد في أعناقها . لم تقضب : لم تقطع ، وقوله : " وَتَقَلْقَلَتْ قَلَائِدُ فِي أَعْنَاقِهَا " كناية عن ضمور فرسه ؛ لأنه يلزم من تقلقل القلائد في أعناقها هذا المعنى الكنائي بوضوح ، ونظيرها قولنا: " اضطربت الأساور في يد المرأة " فهي كناية عن نحافتها وضمورها بعد سمنها .

وقوله: " لَمْ تُقَضَّبْ " احتراس دقيق واقع في محله تماما ؛ لأنه ينفي ما قد يُتوهم أن هذه القلائد تقلقلت لأنها كانت بالية عتيقة بل يؤكد على سلامتها ، وأن تقلقلها عائد لضمور فرسه ورشاقتها ، وهذا مما يزيد التأكيد على صحة تلك الكناية .

ولفظة " تَقَلْقَلَتْ " هنا جاءت معبرة عن الغرض أتم تعبير حيث صورت بأصوات حروفها ، وتكرار لامها وقافها هذا الضمور وتلك الخفة ، ومن ثم تناغمت مع المقام تناغما تاما ؛ لأن السياق استدعاها ، والمقام اقتضاها يدل على ذلك أنها وردت في سياقات أخرى ـ لا تلائمها

(١) ديوان طفيل الغنوي تحقيق / حسان فلاح ، دار صادر ٣٤ ، وديوان الخيل ٤٨٦/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ متنافرة ثقيلة ممجوجة على الأسماع ، انظر إلي ثقلها على لسان شاعر العربية في قوله [1] :

قَلاقِلَ عِيسٍ كُلُّهُنَّ قَلاقِلُ ... فَقَلْقَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلْقَلَ الْحَشَا

وهذه الكناية فريدة وحيدة لم ترد بعينها عند أحد في الجاهلية ، ولكنَّ الأخطل الأموي سلخها حيث قال يذكر الخيل من قصيدة يمدح عبد الملك بن مروان [2] :

قَلائِدُ فِي أَعْنَاقِ مُعْلَمَةٍ حُلْبِ ... إِمَامٌ سَمَا بِالْخَيْلِ حَتَّى تَقَلْقَلَتْ

٤ـ وقال الأجدع الهمداني يصف جواده من قصيدته التي نظمها في حرب الرزم [3] :

بِيَدَيْ فَتًى سَمْحِ الْيَدَيْنِ شُجَاعِ ... يَهْدِي الْجِيَادَ وَقَدْ تَزَايَلَ لَحْمُهُ

يمدح الشاعر جواده بأنه يهدي الجياد ، أي : يأتي في طليعتها ، يقال : جاءت الحُمُر يهدي بها فحلها ، وجاءت الخيل يهدي بها فرس فلان أي يتقدمها .

" تَزَايَلَ لَحْمُهُ " تفرق عن رؤوس العظام ، وهذه الجملة لا يقصد منها الشاعر معناها الظاهر المباشر بل يريد الكناية عن ضمور جواده

---

(١) ديوان المتنبي ٣ /١٧٥ ، وقد زاد بيت المتنبي بشاعة تكرار اللام والقاف في أكثر من كلمة .

(٢) ديوان الأخطل ٩٥ .

(٣) الاختيارين للأخفش الأصغر ٤٦٩ ، وديوان الخيل في الجاهلية ٣٩/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وخفته ؛ لأن اللحم المتفرق عن رؤوس العظام يستلزم أن تكون عظامه صلبة شديدة لا يثبت عليها لحم، ولا يستقر عليها شحم ، وهذا يستلزم ضموره وخفته ، وهي صفة مستحبة في الخيل تنادى بها الجاهليون ، وعدل ــ كما ترى ــ عن التصريح بالضمور إلى هذا المذكور ؛ ليرشدك إلى الصفة مصحوبة بدليلها، ويعطيك المعنى مقرونا ببرهانه ، وهذا من مزايا اصطفاء الكناية على الحقيقة ، كما أن فيها مبالغة في تصوير ضمور وخفة فرسه لمن يتأمل .

وعبر بقوله : " تَزَايَلَ " دون تفرق ؛ لأن التزايل يكون أكثر ما يكون في الأمور الحسية ، فهو أكثر ملاءمة هنا من تفرق ، وأدخل الضمور عليه للتأكيد على صحة هذه الكناية في سياق المدح ، ومن ثم ساغ له أن يُثنيَ على نفسه بما ذكره في الشطر الثاني في قوله : " بِيَدَيْ فَتًى سَمْحِ الْيَدَينِ شُجَاعِ " ، وهي كناية فريدة وحيدة لم تتكرر قط .

٥ ــ وقال أَبُو طَالِبِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يصف الخيل من قصيدة يخاطب بني قصي [١] :

إِذِ الْخَيْلُ تَمْزَعُ فِي جَرْيِهَا ... بِسَيْرِ الْعَنِيقِ وَحَثِّ الْخَبَبْ [٢]

تَرَاهُنَّ مِنْ بَيْنِ ضَافِي السَّبِيبِ ... قَصِيرَ الْحِزَامِ طَوِيلَ اللَّبَبْ

تراهن : الضمير يعود على الخيل السالفة الذكر . ضافي : طويل .

---

(١) ديوان أبي طالب ١٩، وديوان الخيل ٢/٤٧٠ .

(٢) تمزع : تعدو عدوا خفيفا . العنيق : أشد السير . الخبب : ضرب من العدو .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السبيب من الفرس : شعر الذنب والناصية والعرف . اللبب : ما يشد في صدر الدابة ليمنع ارتخاء الرحل ، وقوله : " قَصِيرَ الْحِزَامِ " كناية عن ضمور هذه الخيل ؛ لأن الحزام الذي يلف وسط الخيل ويحيط بخصرها إذا كان طويلا فإنه يستلزم أن تكون سمينة مترهلة ، أما الحزام القصير فيستلزم ضمورها وشدة نحافتها وخفتها على ما هو مشاهد ومعلوم .

وآثر الشاعر التعبير بتلك الطريقة ؛ ليرسخ هذا المعنى في النفس ، ويؤكده في الذهن ، وهي كناية تتسق مع سياق الأبيات السابقة التي توضح أنهم قد أعدوا العدة للدفاع عن المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بأفراس عتيقة تسرع في جريها بشتى أنواع العدو بسير العنيق وحث الخبب ، وهذا شيء طبعي في الجياد الضامرة الرشيقة كما وصفها ، وهي كناية فريدة وحيدة لم تتكرر كذلك في مبناها .

٦ ــ وقال لبيد بن ربيعة واصفا الخيل من قصيدة فخرية [١] :

لا تُنْشَدُ الْحُمُرُ الأَوَالِفُ فِيهِمُ ... إِذْ لا تُرَوَّحُ بِالْعَشِيِّ بِهَامُ [٢]

إِلا فَلاءَ الْخَيْلِ مِنْهَا مُرْسَلٌ ... وَمُرَبَّطَاتٌ بِالْفِنَاءِ صِيَامُ [٣]

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة ١٦٠ ، وديوان الخيل ٧٣١/٢ .

(٢) البهام : أولاد الضأن والماعز ، يفتخر بأنهم أهل فروسية وحرب ، وليسوا أهل رعي وزرع .

(٣) فلاء الخيل : أولاد الخيل جمع فُلوّ ، أي أنها هي التي تروح بالعشي . منها مرسل : أي للرعي . بالفناء : ساحات الدور . صيام : قيام .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجوارن : الدروع اللينة . طمرة : فرس مشرفة وثابة . القرتين : الغداة والعشي ، وهي من باب ما جاء مثنى بلفظين مختلفين مثل العُمرين " أبي بكر وعمر " والحجرين " الذهب والفضة " ، والأسودين " التمر والماء " .

وقوله : " يَغْدُو عَلَيْهَا القَرَّتَينِ غُلامُ " كناية عن تضميرها وحسن صُنعها ؛ لأنه يلزم من عدو الغلام عليها صباحا ومساء غداة وعشيا أن يخف لحمها ، ويقل رهلها ، وتضمر أعضاؤها ، وعبر بالمضارع " يَغْدُو " لاستحضار صورة التضمير في النفوس مما زاد الكناية قوة وبراعة .

وأنت تحس بالفرق واضحا بين المعنى الحقيقي لو قال : وكل طمرة خفيفة مضمرة ، وبين هذا المعنى الكنائي الذي له أثر قوي على النفس بما يوحيه من مداومة التضمير وشدة الاهتمام حتى صارت إلى ما صارت إليه من الخفة والضمور والرشاقة وهي كناية وحيدة فريدة في مبناها لم تتكرر في ديوان الخيل .

وهكذا صور الجاهليون ضمور أفراسهم بأكثر من صيغة كنائية منها ما تكرر ، ومنها ما تقارب ، ومنها ما تفرد ، وكلها أدت الغرض أحسن أداء ، وتناسبت مع سياقها أتم تناسب ، وقد اشتركت كلها في أداء معنى واحد هو الضمور والخفة ، ولكل واحدة خاصية تميزها عن أختها في أسلوبها وطريقة عرضها كما ظهر بوضوح .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة الثانية : الكناية عن الطول والارتفاع .

وجاءت هذه الكناية في سبعة مواضع على أكثر من هيئة وصيغة لفظية .

١ــ قال الأعشى من قصيدة يصف جياد ممدوحه قيس بن معد يكرب [١] :

الْوَاهِبُ الْمِائَةَ الْهِجَانَ وَعَبْدَهَا ... عُوذًا تُزَجِّي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا

وَالْقَارِحَ الْعَدَّا وَكُلَّ طِمِرَّةٍ ... مَا إِنْ تَنَالُ يَدُ الطَّوِيلِ قَذَالَهَا

القارح : الجواد الذي برزت أسنانه . العدا : الشديد العدو، وأصله العداء فقصر همزة الممدود . القذال: جماع مؤخر الرأس ، وقوله : " مَا إِنْ تَنَالُ يَدُ الطَّوِيلِ قَذَالَهَا " كناية عن طولها وعلوها ؛ لأن طول القذال يستلزم طول بنيان الفرس وارتفاعها ، وهذا مما يستحب في الخيل ، وبه مدحوها [٢] ، ولهذه الكناية خصوصية تعبيرية دقيقة لأن الشاعر لم يتوصل لطول الفرس وارتفاعها من طول قذالها فحسب ، وإنما من طول قذالها مقيدا بكون الطويل من بني البشر لا يناله ، مما يعني المبالغة في الطول ، وهذه اللمحة الذكية لم ترد في الكناية عن الطول على لسان

(١) ديوان الأعشى دار صادر ١٥٢، وديوان الخيل ٦٩/١ .

(٢) انظر الأمالي للقالي ٥٧/١ ، في قوله من نصٍّ أورده في مدح الفرس " أشم القذال " .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زهير في قوله [1] :

وَلا قَـــدَمَاهُ الأَرْضَ إلا أَنامِلُـــه وَمُلْجِمُنَـــا مَـــا إنْ يَنَـــالُ قَذَالَـــهُ

ولكنها وردت على لسان أبي دؤاد في قوله يصف جواده [2] :

حَيْـثُ يُثْنَـى مِـنَ الْمَقَـصِّ الْعِـذَارُ لا يَكَـادُ الطَّوِيـلُ يَبْلُـغُ مِنْـهُ

فقولـه : " لا يَكَادُ الطَّوِيلُ يَبْلُغُ مِنْهُ " الخ كناية مركبة عـن طول هذا الفرس وارتفاعه الشاهق الذي لا يستطيع الشخص الطويل أن يبلـغ متنه ، وفي هذا إشارة واضحة إلى عتق هذا الجواد وكرمه .

وهكذا أبرزت لنا الكنايات الثلاث السابقة طول الفرس وارتفاعـه مصحوبا بدليله مقرونا ببرهانه فثبت المعنى في الذهن ورسخ وتقرر مع التفاوت في صياغة كُلِّ كناية.

٢ـ وقال النابغة الجعدي يمدح فرسه من قصيدة نمطها جاهلي[3]:

فَكَـانَ هُـوَ الـشِّفَاءَ فَبَرَّزَتْـهُ ضَـلِيعَ الْجِـسْمِ رَابِيَـةَ الْحِـزَامِ

فرس ضليع : عظيمة الخلق شديدة الأضلاع . رابية : مرتفعـة عالية ، وقوله : " رَابِيَةَ الْحِزَامِ " كناية عن علو فرسـه وطولهـا ؛ لأن الحزام المرتفع يستلزم سموق الفرس وعلوها ، فهو يشير إلى أن هـذه الفرس قد بَرَّزَتْ الجياد الأخرى ، وتفوقت عليها في جسامتها وطولهـا

---

(١) شعر زهير بن أبي سلمى ٥٢ ، وديوان الخيل ٣٧٣/١ .

(٢) ديوان أبي دؤاد ٣١٧ ، وديوان الخيل ٣٢٤/١ .

(٣) ديوان النابغة الجعدي ١٥٤ ، وديوان الخيل ٨١٣/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعلوها مما يزرع هيبتها في نفوس الرائين لها ، وهذا أبلغ في التناول مما لو أتى به على سبيل الحقيقة ساذجا غفلا بادئ الأمر ، علاوة على ما في الكناية من التأكيد على تلك بتقديمها الدليل على صحة تلك الدعوى.

٣ـ وقال النابغة الجعدي أيضا من قصيدة جاهلية يصف حصان الحرب [١] :

وَهْوَ طَوِيلُ الْجِرَانِ مُدَّ بِلَحْـ ـيَيْهِ وَلَمْ يَأْزَمَا عَلَى كَزَمِ

الجران : مقدم العنق إلى النحر . اللحيان : الجانبان من الفك اللذان عليهما الأسنان . الأزم : العض بالفم . الكزم : القِصَر في اللحيين وهو قبيح ، وقوله : " وَهْوَ طَوِيلُ الْجِرَانِ " كناية عن علو الجواد وطول جسمانه ؛ لأنه يلزم من طول الجران طول الجواد وارتفاعه ، وهذه الصفة تظهر جليا أيضا في بني البشر فإن الشخص الطويل يكون جيده طويلا منبسطا عكس القميء فجيده يكون قصيرًا كزا منقبضا .

ولو أعدنا التأمل في الكنايتين السابقتين سنجد أن طول الفرس وارتفاعه قد كُنِّيَ عنه بصيغتين مختلفتين " رَابِيَةَ الْحِزَامِ ، طَوِيلَ الْجِرَانِ " ، وكل واحدة لها مذاق خاص وطعم مميز ، فالأولى تركز على العلو والارتفاع ، والطول يأتي تابعا ، والثانية تركز على الطول والامتداد ، والعلو والارتفاع يأتي تابعا فبينهما مفارقة واضحة من هذه الجهة ،

(١) ديوان النابغة الجعدي ١٦٢، وديوان الخيل ٨١٥/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكلتاهما كنايتان فريدتان وحيدتان في صياغتهما .

٤ــ وقال المرقش الأكبر من قصيدة فخرية يصف فرسه [١] :

وَمُغِيرَةٍ نَسْجَ الجَنُوبِ شَهِدْتُهَا تَمْضِي سَوَابِقُهَا عَلَى غُلَوَائِهَا [٢]

بِمُحَالَةٍ تَقِصُ الذُّبَابَ بِطَرْفِهَا خُلِقَتْ مَعَاقِمُهَا عَلَى مُطَوَائِهَا

المحالة : الفرس الشديدة المحال وهي فقار الصلب . تقص الذباب : تقتله بطرفها إذا دنا من عينها دلالة على اليقظة . المعاقم : الفصوص ، وهي المفاصل « يقال للفرس: إنه لشديد المعاقم إذا كان شديد معاقد الأرساغ » [٣] على مطوائها أي كانت تمطت فخلقت على ذلك .

فقوله : " خُلِقَتْ مَعَاقِمُهَا عَلَى مُطَوَائِهَا " كناية عن طول هذا الفرس وامتدادها وارتفاعها ؛ لأن المذكور يستلزم المستور بلا شك ، وفي الكناية أيضا إشارة إلى شدة هذه الفرس وقوتها لأنها خلقت على ذلك ، واختصت به دون غيرها من الأفراس ، فكأنها هبة من

---

(١) ديوان المرقشين ٨٤، والمفضليات ٢٣٤، وديوان بني بكر ٥٩٣، وديوان الخيل ٧٨١/٢.

(٢) المغيرة : القوم والخيل يغيرون . الجنوب : الريح التي تقابل الشمال . نسج الجنوب : أي تمر مر ريح الجنوب . السوابق : الخيل السابقة . غلوائها : ارتفاعها .

(٣) أساس البلاغة للزمخشري" ع.ق.م " ٣٠٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رب العالمين وهبها لفرس هذا الشاعر ، وهي كناية مركبة بعيدة تحتاج إلى تمعن في إدراكها ، كما أنها فريدة وحيدة في صيغتها ومبناها ، وشبيه بها ما جاء على لسان النابغة الجعدي في قوله [1]:

خِيطَ عَلَى زَفْرَةٍ فَتَمَّ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضَمِ

وإليه أشار ابن قتيبة فقال : « أراد أنها كأنها تمطت فخلقت على ذلك ، وشبيه به قول الجعدي : خيط على زفرة » [2] .

وهكذا جاءت الكناية عن طول الفرس وعلوه بصيغ متباينة وأساليب متنوعة مثلما جاءت الكناية من قبلُ عن الضمور مما يدلل على سعة أفق الشعراء الجاهليين ، ومقدرتهم الفذة في التعبير عن المعنى الكنائي الواحد بأكثر من صيغة لفظية لكلٍّ منها مذاق خاص تتميز به عن غيرها .

وقولنا هنا ، وفيما مضى ، وفيما سيأتي : " التعبير عن المعنى الكنائي الواحد بأكثر من صيغة لفظية " قولٌ نقوله على سبيل التجوز والتسامح ؛ لأن كل كناية مختلفة في الصياغة والهيئة اللفظية تحمل في طياتها دلائل خصوصيتها عن أقرانها ، فلا ينبغي ما دامت الصياغات قد اختلفت ولو في كلمة بله حرف أن نقول إن المدلول واحد فلكل معنى هيئة لفظية وصورة تركيبية يختلف شيات المعنى إذا اختلفت هيئته

(١) ديوان النابغة الجعدي ١٦١ ، وديوان الخيل ٨١٤/٢ .

(٢) المعاني الكبير لابن قتيبة ١٤٤/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وصورته اللفظية ، ولكنَّ قصدنا هنا هو أن المعنى الكلي واحد تندرج تحته الكنايات السابقة كلها ، وهو دأب كثير من الكنايات اللاحقة أيضا .

الصورة الثالثة : الكناية عن قوة بنيان الحصان ، وجاءت في موضعين .

ـ قال أبو دؤاد الإيادي من مقطوعة يصف جواده [1] :

يَرْدِي عَلَى سَبِطَاتِ غَيْرِ فَائِرَةٍ ... خُضْرِ السَّنَابِكِ لَمْ تُقْلَبْ وَلَمْ تُرَبِ

يردي : يمشي الجواد هذا النوع من المشي المسمى الرديان . سبطات : قوائم . فائرة : منتشرة العصب ، وفي اللسان « يكره من الفرس فَوْرُ العِرْقِ ، وهو أَن يظهر به نَفْخ أَو عَقَدٌ » [2] ، وكون القوائم غير فائرة أدعى لقوتها وتمام صحتها « السُّنْبُك : طرَفُ الحافِرِ وجانباه من قُدُمٍ ، وجمعهُ سنَابِكُ »[3] لَمْ تُقْلَبْ : لم يقلبها البيطار لمعالجتها لما بها من علة « قال ابن الأعرابي : معناه ليست به علة يقلب لها فينظر إليه ، قال الراجز وذكر فرسًا :

وَلَمْ يُقَلِّبْ أَرْضَهَا بَيْطَارُ ... وَلا لِحَبَلَيْهِ بِهَا حَبَارُ

أي لم يقلب قوائمها من علة بها » [4] . لم ترب : لم تُخدِث ريبة .

---

(١) ديوان أبي دؤاد الإيادي ٢٨٥ ، وديوان الخيل ٣٠٩/١ .

(٢) لسان العرب " ف.و.ر " .

(٣) لسان العرب " س.ن.ب.ك " .

(٤) إصلاح المنطق لابن السكيت ٣١٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله : " خُضْرِ السَّنابِكِ لمْ تُقْلَبْ ولمْ تُرَبِ " يعني أن قوائمه سليمة قوية شديدة لم يحدث منها ريبةٌ من سقوط أو انزلاق، ولم تُحْوِجْه ـ في يوم من الأيام ـ أن يذهب بها للبيطار لمرض ألم بها أو ضعف أصابها . هذا هو المعنى الحقيقي لهذا الأسلوب ، لكن الشاعر لا يقصده لذاته بل يريد ما يستلزمه ، وهو الكناية عن شدة بنيان جواده وقوة جسماته وتمام صحته ؛ لأن قوائم الجواد من الركائز القوية والعُمَد الأساسية في هذا الحيوان فهي مناط شدته ومتعلق قوته ، بها يعدو ويمشي ويرقص ويزهو ، فإذا كانت سليمة شديدة قوية لزم من هذا بالتبعية قوة وشدة بنيان هذا الجواد ، وهو ما يريد الشاعر إثباته ، وقدمه إلينا بصورة معجبة مصحوبة بحجة لا يختلف عليها اثنان .

وهذا أيضا معلوم لدى بني البشر بوضوح ، وبخاصة عند العدائين والفرق الرياضية المختلفة التي تعتمد في رياضتها على أقدامها ، فأي إصابة فيها إصابة للشخص بأسره ، ومن يعيدُ النظر في أسلوب تلك الكناية يلحظُ أنها كناية مركبة ، كما يلحظ أنها وردت بصيغة منفية، وهذا من الكنايات القليلة المنفية في ديوان الخيل، وهي كناية فريدة وحيدة ، وقد نسج على منوالها طفيل الغنوي في قوله يصف جواده [1] :

يُصَانُ بِصَاهِلِ الْوَجْهِ لَمْ تُقْطَعْ أَبَاجِلُهُ ... يُصَانُ وَهُوَ لِيَومِ الرَّوْعِ مَبْذُولُ

(١) ديوان طفيل الغنوي ٨١ ، والأنوار ومحاسن الأشعار ١٣٩ ، وديوان الخيل ٤٩٥/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأبجل كما تقدم « عرق في ذراع البعير والفرس بمنزلة الأكحل من الإنسان » وقوله : " لَمْ تُقْطَعْ أَباجِلُهُ " كناية عن سلامة بنيانه وقوة جسمانه ؛ لأن عدم ذهابه للبيطار ليقطع عروقه الضعيفة يدل دلالة واضحة على بنيانه السليم وجسمانه الصحيح وعافيته الشديدة ، وهو شأن كل كائن حي ، وفي البيت كناية أخرى عن الضمور في قوله : " ساهم الوجه " وقد مرت ، والكناية هنا وحيدة فريدة في صياغتها لم تتكرر .

الصورة الرابعة : الكناية عن سرعة الخيل ، ووردت في موضعين .

١ــ قال عبيد بن الأبرص من قصيدة يصف خيل ممدوحه [١] :

وَكُلٌّ أَجْرَدَ قَدْ مَالَتْ رِحَالَتُهُ ... تَهْدِي الْمَرَاكِلِ فَعْمٍ نَاتِئِ الْكَتَدِ

الأجرد : الجواد القصير الشعر وهو من علامات العتق والكرم . الرحالة : سرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للجري الشديد . الفعم : الممتلئ . ناتئ : بارز . الكتد : مجتمع الكتفين ، وكلها صفات حسنة في الجواد .

وقوله : " وَكُلٌّ أَجْرَدَ قَدْ مَالَتْ رِحَالَتُهُ " كناية عن السرعة ؛ لأن الرحل إذا مال ولم يستقر على متن الجواد فهذا يعني أن سرعته كانت شديدة طاغية مما جعل الرحل المخصص للجري الشديد يتمايل ولا يستقر.

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ٥٧ ، وديوان الخيل ٢/٥٥٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكما يلاحظ أراد الشاعر أن يذكر السرعة فعدل عن ذكرها صراحة ، وأتى بعبارة من شأنها أن يردفها هذا المعنى في الوجود ، وهذا ـ لا شك ـ أقوى في إثبات المعنى وأمكن من ذكره صراحة ، علاوة على أن أسلوب الكناية فيه إثبات سرعة هذا الجواد مصحوبا بدليل لا يتطرق إليه شك ولا يخالجه ريب ، وهذا من المزايا الواضحة لذلك الأسلوب ، يقول الشيخ الإمام مبينا قيمة هذه المزية : « أما الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أن إثبات الصفة بإثبات دليلها ، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها آكد وأبلغ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها ساذجًا غفلاً ، وذلك أنك لا تدعي شاهد الصفة ودليلها إلا والأمر ظاهر معروف ، وبحيث لا يشك فيه ولا يظن بالمخبر التجوز والغلط ...» (١).

هذا ، ويجوز أن تكون هذه العبارة كناية عن الملاسة أيضا ولا تعارض ؛ لأن السرعة الشديدة مع الملاسة تجعل الرحل يتمايل ، والكناية وحيدة فريدة لم تتكرر في مبناها .

٢ـ وقال الأعشى من قصيدة يمدح قيس بن معد يكرب ويصف الجواد (٢) :

بِهِ تُرْعَفُ الأَنْفُ إِذْ أُرْسِلَتْ ... غَدَاةَ الصَّبَاحِ إِذَا النَّقْعُ ثَارَا

(١) دلائل الإعجاز تحقيق شاكر ٧٢ .

(٢) ديوان الأعشى دار صادر ٨٤ ، وديوان الخيل ٦٤/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

به : بهذا الجواد المذكور قبلُ . فرس راعف : سابق ، ورعف الفرسُ الخيل سبقها . النقع ثارا : ثار النقع تفرق وانتشر الغبار في الجو ، وجملة " النَّقْعُ ثَارَا " كناية عن شدة سرعة هذا الجواد التي مكنته من استباقه للخيول المتوجهة لميدان المعركة ؛ لأن الغبار المثار ناتج عن جريان الخيول بسرعة شديدة ، فدلَّ الشاعر على سرعة جواده بذكر هذا المكني به ؛ لأنه يلزم منه شدة السرعة لا محالة ، ويجوز أن تكون جملة " النَّقْعُ ثَارَا " كناية عن شدة سرعة هذا الجواد وسبقه للخيول في حلبة السباق ، ولكنَّ الأول أولى لأنه قال : " إِذْ أُرْسِلَتْ غَدَاةَ الصَّبَاحِ " ، والعرب كانوا يغيرون على أعدائهم في الصباح الباكر ، علاوة على أنه قال : " تُرْعَفُ الأَلْفُ " وهذه الجموع الكثيرة لا تكون إلا في المعركة ، وهي كناية فريدة لم تتكرر في مبناها لكنها اشتركت مع سابقتها في المعنى الكلي ، ولكل واحدة خصوصية ليست لصاحبتها كما ترى .

الصورة الخامسة : الكناية عن الاعتدال ، وجاء ذلك في موضع واحد .

ـ قال النابغة الذبياني من قصيدة نظمها كلها في وصف فرسه[1]:

لَقَدْ لَحِقْتُ بِأُولَى الْخَيْلِ تَحْمِلُنِي كَبْدَاءُ لا شَنَجٌ فيها ولا طَنَبُ

« كبداء : ضخمة الوسَط. شنج : قصر ، طنب : طول مع

(١) ديوان النابغة الذبياني تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ١٧٦ ، وديوان الخيل٢/٨١٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اضطراب ، وهو عيب ، يقول هي معتدلة » [1] .

فقوله : " لا شَنَجٌ فيها ولا طَنَبُ " كناية عن استواء فرسه واعتدال خَلْقِها ؛ لأن نفي القصر والطول المضطرب عن فرسه يستلزم اعتدالها واستواؤها واستقامة خلقها ، وبهذه العبارة أشار إلى الكناية بطريقة حسنة لافتة لها مزية واضحة على الحقيقة لو ذكرها مباشرة ، علاوة على أن نفي هذه الصفات عن فرسه يثبت لها عكسها ، وهو الذي يرمي إليه الشاعر ، وفي هذا إعمال للعقل ، وإيقاظ للفكر ، وتوكيد للمعنى الكنائي المراد ، وهي كناية فريدة وحيدة لم تتكرر مبنى ومعنى في ديوان الخيل .

* * *

الصورة السادسة : الكناية عن حسن المنظر ، ووردت في موضع واحد .

ـ قال سَلَمَةُ بنُ الْخُرْشُبِ الأَنْمَارِيّ من قصيدة يصف فرسه [2] :

تُعَوَّذُ بِالرُّقَى مِنْ غَيرِ خَبْلٍ وَتُعقَدُ في قَلائِدِها التَّمِيمُ

الخبل : الداء . التميم : جمع تميمة ، وهي التعاويذ يريد أنها تعوذ من العين كي لا تصيبها ، والبيت كله كناية مركبة عن جمال هذه الفرس وحسن منظرها وروعة بنيانها ؛ لأنه يلزم من تعويذها بالرقى ووضع التمائم في عنقها الخوف عليها من الحسد ويلزم من الخوف

(١) المعاني الكبير ١٤١/١ بتصرف .

(٢) المفضليات ٤٠ ، وديوان الخيل ٤٢٨/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[illegible]

ويكشف أيضاً ما في الكناية [illegible] — وهي ما تتزين به [illegible] في عنقها — من دقة حيث أطلقت هنا على العنق [illegible] الكناية عن [illegible] ، وهكذا [illegible] على إبراز قوة الكناية ، والكشف بوضوح عن جمال [illegible] الإضافة ، وحسن تقاسيمها ، وروعة بنيتها ، وكل ذلك يعكس [illegible] الشاعر بفرسه وقوة أحاسيسه تجاهها ، وهي صورة وحيدة فريدة .

* * *

الصورة السابعة : الكناية عن الخيلاء ، ووردت في موضع واحد .
[illegible] بن قيس [illegible] بن قيس في وصف جواده

الزعفران [1] :

مـا الزَّعْفَـرَانُ إنْ رَبِيعَـةُ حَارَبَـتْ ... بِمُقْصَى ولا مُسْتَنْكَرٍ فِي المَوَاقِفِ

يَكُـونُ أَمَـامَ الْخَيْـلِ ثَـانِيَ عِطْفِـهِ ... إذَا ثَابَـتْ الـدَّعْوَى وَآخِـرَ عَـاطِفِ

فقوله : " يَكُونُ أَمَامَ الْخَيْلِ ثَانِيَ عِطْفِهِ " كـناية عن الزهـو والاختيال ؛ لأن وقوف جواده أمام الخيل مميلا خده ، ثانيا عطفه يستلزم إعجابه بنفسه، واختياله بحسنه على غيره من الجياد .

وهي كناية رائعة تصور تصويرا دقيقا ثقة الفرس بنفسه ، وتتناغى مع سياق الاستنكار في استبعاد جواده من ميادين الكر والفر التي لا يجب أن يُبْعد عنها ؛ إذ كيف يستبعد من كان بهذه الصفات المحببة في الخيل فاتسقت الكناية مع السياق بوضوح .

وهذه الصفات التي أبانت عنها الكناية صفات محبوبة مطلوبة في الخيل إلا أنها في بني البشر مكروهة غير مطلوبة ، ولذلك استخدمها الذكر الحكيم بعينها في قوله تعالى : " ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ " [الحج٩] ذما للمختال المتكبر الضال عن سبيل الله ، وكأن الذكر الحكيم يوحي بأن الزهو والخيلاء لا ينبغي أن يكون من صفات العقلاء المكلفين ؛ لأنه ألصق وأليق بغير المكلفين من الحيوان المختال بنفسه .

وواضح أن الكناية هنا أبلغ من التصريح لو قال : " يكون أمام الخيل مختالا مزهوا " والأبلغية هنا ليس معناها أننا زدنا في ذات المعنى

(١) أسماء خيل العرب للغندجاني ١١٦ ، ومعجم أسماء خيل العرب ١٥١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بل المراد أننا زدنا في إثباته على حد قول الشيخ الإمام :« ليس المعنى إذا قلنا " إن الكناية أبلغ من التصريح " أنك لما كنيت عن المعنى زدت في ذاته ، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وآكد وأشد ، فليست المزية في قولهم : " جم الرماد " أنه دل على قرى أكثر ، بل أنك أثبت له القرى الكثير من وجه هو أبلغ ، وأوجبته إيجابا هو أشد ، وادعيته دعوى أنت بها أنطق، وبصحتها أوثق» (١) وهكذا كان الحال هنا كما نراه ، ولم تتكرر تلك الكناية بل هي فريدة وحيدة مبنى ومعنى في ديوان الخيل .

* * *

النوع الثاني: الكنايات الحسية عن أعضاء الفرس، وورد في هذا النوع خمس صور.

الصورة الأولى : الكناية عن طول العنق ، وجاءت في أربعة مواضع .

١ــ قال قَبِيصَةُ بنُ النَّصْرَانِيِّ الْجِرْمِيِّ يصف فرسه من مقطوعة(٢) :

فَاجِرَتِي يَا بِنْتَ آلِ سَعْدِ ... أَإِنْ حَلَبْتُ لِقْحَةً لِلْوَرْدِ (٣)

---

(١) دلائل الإعجاز تحقيق شاكر ٧١ .

(٢) الحماسة لأبي تمام ٣١٤/١ ، وشعراء النصرانية٩٥/١ ، وديوان الخيل ٦٩٥/٢ .

(٣) هاجرتي : أي أنت هاجرتي . أإن حلبت : استفهام خرج مخرج التقريع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جَهِلْتِ مِنْ عِنَانِهِ الْمُمْتَدِّ وَنَظَرِي فِي عِطْفِهِ الْأَلَدِّ

جهلت من عنانه: أي جهلت ما أعرفه من عتقه ونجابته ، ويريد بالعنان سير اللجام ، وقوله : " عِنَانِهِ الْمُمْتَدِّ " كناية عن طول عنقه ؛ لأن سير اللجام الممتد يستلزم استطالة العنق وانبساطه .

والمعنى : جهلت ما فيه من المحاسن التي جملتها طول عنقه ، وطول نظري إلى عطفه الألد الذي لا يستقر من المرح ، وعبر الشاعر بالامتداد للتأكيد على تلك الصفة ، والمبالغة في طول عنقه ، وهي كناية قريبة ظاهرة سهلة الاستنتاج كما ترى ، كما أنها فريدة وحيدة في لفظها ، ومما هو من هذا القبيل قول حاجب بن حبيب يصف جواده " ثادق " من قصيدة يلوم امرأته ؛ لأنها حثته على بيعه (١) :

طَوِيلُ الْعِنَانِ قَلِيلُ الْعِثَا رِخَاظِي الطَّرِيقَةِ رَيَّانُهَا

الخاظي : الكثير اللحم المكتنز . الطريقة : طريقة متنه أي ظهره . ريانها : ممتلئها ، وقوله : " طَوِيلُ الْعِنَانِ " كناية عن طول عنقه ؛ لأن طول العنان يلزم منه بوضوح طول العنق ، كما يلزم من طول النجاد طول القامة .

والشاعر لم يذكر طول العنق مباشرة ، ولكنه توصل إليه بذكر

والتوبيخ ؛ لأن المراد به الإن حلبت ، أي لهذا الشأن كان منك الهجر لي .

(١) المفضليات ٣٦٩ ، والأصمعيات ٢٢٠ ، وشعر قبيلة أسد ١٧٩ ، وديوان الخيل ١٩٨/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عبارة تستلزم هذا المعنى فقدم لنا دليلا حسيا مشاهدا على صحة دعواه ، وهذا من مزايا الكناية .

ولفظة العنان هذه لفظة غنية حيث يستمد منها كنايات متنوعة حسب اللفظ المضاف إليها ، فإذا كان المضافُ لفظَ " رخو أو سهل أو حسن " كان كناية عن سلاسة الانقياد، قال الزمخشري : « ومن المجاز[1] فرس رخو العنان إذا كان سلس القياد »[2] وإذا كان المضافُ لفظ " شديد " كان كناية عن صعوبة المقادة ، وإذا كان لفظ " طَويلٍ " كما هنا ، أو ممتد العنان كسابقه كان كناية عن طول العنق ، فهي وما يضاف إليها ـ كما ترى ـ ثرية بالدلالات، وقد أومأ الزمخشري إلى معنى آخر طريف يستمد من هذه العبارة قال :« فلان طويل العنان إذا لم يُرَدْ عما يريد لشرفه . قال الحطيئة : مجد تليد وعنان طويل »[3] ، وهي كناية تكاد تكون مكررة بلفظها لقربها مما سبق .

٢ـ وقال أبو دؤاد الإيادي من قصيدة يصف حصان الصيد [4] :

وَقَدْ أَغْتَدِي فِي بَيَاضِ الصَّبَاحِ وَأَعْجَازِ لَيْلٍ مُوَلِّي الذَّنَبْ

---

(١) يقصد الكناية كما يفهم من سياق كلامه ، وكان يطلق الكناية على المجاز والعكس .

(٢) أساس البلاغة " ر.خ.و " ١٥٥ .

(٣) أساس البلاغة " ع.ن.ن " ٣١١ .

(٤) ديوان أبي دؤاد الإيادي ٢٩١ ، وديوان الخيل ٣١٢/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طرف : فرس كريم الطرفين وهما الأبوان . المرسن : الأنف ، وإنما قال ينازعني مرسنا ؛ لأن الحبل ونحوه يقع على مرسنه فينازعه إياه من نشاطه . محض النسب : أي خالص النسب ، لم يقارف الهجنة من أب أو أم ، وهو تأكيد لطرف المذكور في أول البيت ، سلوف : متقدم . المقادة : العنق .

وقوله : " سَلُوفِ الْمَقَادَةِ " كناية عن طـــول عنقـــه ؛ لأن عنق الفرس المتقدم عن أترابه يستلزم طوله ، وليس هذا بغريب فهو مشاهد في حياتنا اليومية في الإنسان ، وكافة ضـــروب الحيـــوان ، فأصـــحاب الأعناق المتقدمة حتما تكون طويلة .

والشاعر ــ كما رأينا ــ لم يذكر هذا المعنى مباشرة ، ولكنه عدل عنه إلى ذكر لفظ من شأنه أن يفهم منه معنى آخر ــ أو دلالة ثانيـــة ــ توجد إذا وجدت الأولى ، فزاد الأمر مبالغة وقوة وتأثيرا ، ولفظة المقادة هنا كلفظة العنان هناك تكون كناية عن أشياء كثيرة حسبما تضاف إليه ، فإذا قيل : " صعب المقادة " كان كناية عن العزة والإباء في الإنـــسان ، وعن النفار والجموح في الحيوان ، وإذا قيل : " سلس أو حسن المقادة " كان كناية عن الطواعية والسلاسة ، وإذا قيل : " سلوف المقادة " كمـــا هنا كان كناية عن طول العنق ، وهي كناية فريدة وحيدة في مبناها .

٣ــ وقال الأعشى يصف الجواد من قصيدة يمدح قيس بن معـــد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بكرب (١) :

كَسَمَا بِتَلِيلٍ كَجِذْعِ النَّخْلِ مَا بِرِحُرِّ الْقَذَالِ طَوِيلِ الْغُسَنْ

التليل : العنق . قذال : مؤخر الرأس . الغسن : جمع غسنة : وهو شعر العرف والناصية ، وقوله : " حُرِّ الْقَذَالِ " كناية عن طول العنق ؛ لأن طلاقة وامتداد القذال يفهم منه بالتبعية واللزوم طول عنق هذا الجواد ، وهذا مما يستحب في الخيل وهو علامة على نجابتها ، قال ابن قتيبة : « وطول العنق من علامات العتق وقصرها من علامات الهجنة » (٢) ، وقال أيضا : « يستحب في العنق الطول واللين ويكره فيها القصر والجُسْأَةُ ، قال الشاعر :

مُلاعِبَةُ الْعِنَانِ بِفُضْنِ بَانٍ إِلَى كَتِفَيْنِ كَالْقَتَبِ الشَّمِيمِ (٣)

ومن روعة الكناية هنا اختيار كلمة " حُر " فهي تعني أن قذال الفرس يتمتع بحرية وطلاقة في امتداده لا يعوقه شيء من كزازة وجساة ، فجاءت صيغة الكناية نفسها معبرة عن المراد بدقة ، وهي كناية مكررة بمعناها لكنها فريدة وحيدة في مبناها شأن سوابقها ، وهذه الكنايات السابقة تدور كلها حول معنى واحد هو طول العنق ، ولكل كناية لقطة دلالية ولمحة جمالية لا توجد في مثيلتها ، فالأولى ركزت على عنانه

---

(١) ديوان الأعشى دار صادر ٢٠٨ ، وديوان الخيل ٧٧/١ .

(٢) المعاني الكبير لابن قتيبة ١٢٨/١ .

(٣) أدب الكاتب لابن قتيبة ٨٦ ، ٨٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممتد ، والثانية ركزت على عنانه الطويل ، والثالثة ركزت على تقسم عنق الجواد عن أعناق أترابه ، والرابعة ركزت على طلاقة وحريـ القذال.

كما أنها جميعها كنايات قريبة لا تحتاج إلى تدبر وإنعام نظر ، وهذا ما يغلب على معظم كنايات الخيل في الجاهلية ، فهي كنايات قريبة سهلة الاستنتاج تتسق مع طبائع الشعراء وسهولة حياتهم ؛ لأنها قيلت في عصور البساطة وعدم التكلف .

الصورة الثانية : الكناية عن حدة بصر الخيل ، ووردت في موضع واحد .

ـ قال عدي بن زيد من قصيدة يصف جواده [1] :

لَـهُ قُـصَّةٌ فَـشَغَتْ حَاجِبَيْـهِ والْعَـيْنُ تُبْـصِرُ مَـا فِـي الظُّلَـمْ

القصة : شعر الناصية . فشغت : غطت وانتشرت ، وقوله : " والْعَيْنُ تُبْصِرُ مَا فِي الظُّلَمْ " كناية عن حدة نظره ، ونفاذ بصره ؛ لأن العين التي تبصر ـ على فرض ـ في الظلام لا بد أن تكون في منتهى الحدة والنفاذ ، وهذا مما يستحب في الخيل ، والمعنى الحقيقي هنا لا يمكن إتيانه ؛ لأنه من الأمور المستحيلة غير الممكنة في الواقع ، وذلك راجع لخصوصية في هذا الأسلوب نفسه لا لطبيعة القرينة ؛ لأن قرينة

(١) ديوان عدي بن زيد ١٦٩ ، والخيل لأبي عبيدة ٢٨٦ ، وديوان الخيل ٥٧٣/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكناية ـ كما نعلم ـ غير مانعة عكس قرينة المجاز فهي مانعة معاندة .

وفي التعبير الكنائي قوة ومبالغة لا توجد في التعبير الحقيقي ؛ لأن صورة المعنى معه ـ لا شك ـ أبلغ وآكد وأقوى تأثيرا في النفس ، يقول الإمام عبد القاهر : « إذا قلت : " هو كثير رماد القدر " كان له موقع وحظ من القبول لا يكون إذا قلت : " هو كثير القرى والضيافة " ، وكذا إذا قلت : " هو طويل النجاد " كان له تأثير في النفس ... لا يجهل المزية فيه إلا عديم الحس ميت النفس، وإلا من لا يُكَلَّم...»[1] وهذا واضح هنا بجلاء ؛ لأن من يبصر ـ على فرض ـ في الظلام يلزمه أن يكون حديد البصر ، قوي النظر ، وهي صفة مدح في الخيل تتلاءم مع غرض المديح ، وثناء الشاعر على جواده ، وهي كناية فريدة وحيدة مبنى ومعنى لم يُنسج على منوالها .

الصورة الثالثة : الكناية عن طول الخد ، ووردت في موضع واحد .

ـ قال طفيل الغنوي يذكر الفرس من بيت واحد في ديوانه [2] :

هَرِيتٌ قَصِيرُ عِذَارِ اللِّجَامِ أَسِيلٌ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنْ

هريت : واسع الشدق ، قال ابن قتيبة : « يستحب في الأفواه الهَرَت ، وهو السَّعَة » [3] ، وقال أيضا : « لم يرد بقوله قصير عذار

---

(١) دلائل الإعجاز تحقيق شاكر ٤٣٠ .

(٢) ديوان طفيل الغنوي ١٤٧ ، وديوان الخيل ٤٩٧/٢ .

(٣) أدب الكاتب لابن قتيبة ٨٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

اللجام أنه قصير الخد، وكيف يكون ذلك وهو يقول أسيل طويل عذار الرسن ولكنه أراد أنه هريت ، وأن مشق شدقيه من الجانبين مستطيل فقد قصر عذار لجامه ، ثم قال طويل عذار الرسن ؛ لأن الرسن لا يدخل في فيه شيء منه كما يدخل فأس اللجام ، فعذار رسنه طويل لطول خده » [1] فقوله : " طَويلُ عِذَارِ الرَّسَنْ " كناية عن طول خده ، لأنه يلزم من طول عذار الرسن طول الخد ، وطول الخد في الخيل مما يستحب فيها ، وهو أمارة عتق وكرم ونجابة ، والمعنى الحقيقي هنا يمكن إيراده مع المعنى الكنائي ، وهذا يزيد من ثراء الدلالات في تلك الصورة الكنائية المتفردة مبنى ومعنى في ديوان الخيل .

الصورة الرابعة : الكناية عن سعة شدق الفرس ، ووردت في موضع واحد .

ـ قال طفيل الغنوي يصف جواده من قصيدة فخرية " [2] :

كَـأَنَّ عَلَـى أَعْطَافِـهِ ثَـوْبَ مَـائِحٍ ... وَإِنْ يُلْـقَ كَلْـبٌ بَـيْنَ لِحْيَيْـهِ يَـذْهَبِ

الأعطاف : الجوانب . المائح : الذي يدخل البئر فيملأ الدلو فيسيل الماء على ثيابه فيبتل ، أراد : أن هذا الجواد قد عرق من شدة سرعته ، وقوله : " وَإِنْ يُلْقَ كَلْبٌ بَيْنَ لِحْيَيهِ يَذهَبِ " أي ينزلق في جوفه كما يدخل الطعام لا يرجع . وهو كناية عن سعة شدق هذا الجواد ؛ لأن الكلب إذا

(١) المعاني الكبير لابن قتيبة ١٢٤/١ ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ٨٦ .

(٢) ديوان طفيل الغنوي ٣٧ ، وديوان الخيل ٤٨٦/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذهب بين لحيي جواده فهذا يستلزم سعة شدقه لا محالة والشاعر لم يذكر هذا المعنى مباشرة ، ولكنه دلف إليه بذكر تركيب يلزم منه هذا المعنى الكنائي كما رأينا ، وقد آثر هذه الطريقة على الحقيقة للمبالغة في سعة شدقه ، وهو مما يستحب في الفرس كما مر قبلُ .

هذا ، ويلاحظ أن المكني به المذكور هنا لا يمكن تحققه لاستحالته عقلا وعادة اللهم إلا إذا كان جروا صغيرا ، لكنَّ هذا غير صحيح ؛ لأنه عبر بقوله : " كَلْبٌ " بالتنكير مما قد يدل على كبره وضخامته ، وكون المعنى الأصلي غير ممكن عائد لخصوصية في هذا التعبير فحسب كما هو معلوم ، والكناية هنا فريدة وحيدة في مبناها لكنَّ هذا المعنى ورد على سبيل الحقيقة في قول طفيل السابق " هَرِيتٌ قَصِيرُ عِذَارِ اللِّجَامِ " ، وورد على طريق التشبيه في قول أبي دؤاد الإيادي :

وفي شَوْهَاءُ كَالجَوَالِقِ فُوهَا مُسْتَجَافٌ يَضِلُّ فيهِ الشَّكِيمُ

الصورة الخامسة : الكناية عن ملاسة ظهر الجواد ، ووردت مرة واحدة .

ـ قال امرؤ القيس يصف حصان الصيد من معلقته الشهيرة [1] :

كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزَّلِ

كميت : جواد أحمر اللون . يزل اللبد : يسقط . حال متنه : موضع اللبد . الصفواء : الحجر الصلب . المتنزل : صفة لمحذوف

(1) ديوان امرئ القيس تحقيق/ أبو الفضل ٢٠ ، وديوان الخيل ١/١١٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تقديره بالمطر المتنزل ، أو بالإنسان المتنزل ، شبه زليل اللبد عنه بصخرة تزل في هبوط ، وقوله : " يَزِلُّ اللِّبدُ عَنْ حالِ مَتْنِه " كناية عن انملاس ظهره ؛ لأن اللبد إذا لم يستقر على ظهر الجواد فهذا يدل بداهة على ملاسة وشدة نعومة ظهره ، وفي هذا دلالة أخرى على أن هذا الجواد منعم يكرمه صاحبه ، ويقوم غلمانه على حمايته ، فلم يجرح أو يُكلم أو يُهن بل هو مرعيٌّ أشد رعاية ، محافظٌ عليه أشد حفاظ ، وهكذا شأن أفراس الأمراء وبخاصة أفراس الصيد .

وهي كناية واقعية تتناغم مع حياة الشاعر أيام لهوه وصباه ، وتعبر عن مدى ترفه وغناه ، ونحن نرى في حياتنا العملية خيول أصحاب الشأن تختلف عن خيول غيرهم من حيث النعمة وعدم الامتهان ، فلا غرو أن يكون حصان صيد امرئ القيس ابن الملك حجر بهذه الصفات ، فالبيت واقعي ، والكناية في محلها تماما ، وأبانت حق الإبانة عن المغزى الذي يرمي إليه الشاعر ، وهي كناية متفردة مبنى ومعنى .

* * *

النوع الثالث : كنايات تتعلق بالخيل غير هذين السابقين ، ووردت في أربع صور .

الصورة الأولى : الكناية عن شدة المعركة .

وهي أكثر الكنايات الحسية ورودا حيث جاءت تسع عشرة مـرة على صياغات متنوعة وأساليب متعددة .

١ــ قال الحارث بن عباد من قصيدة فخرية مهددا بني تغلب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واصفا الخيل (١) :

إنَّا لنَمْنَعُ بالطِّعَانِ دِيَارَنَا ... وَالضَّرْبُ تَحْسَبُهُ شِهَابَ ضِرَامِ

تَعْدُو بِكُلِّ مُهَنَّدٍ صَمْصَامِ ... نَحِقَ الجِيَادِ شَوَاخِصًا أَبْصَارُهَا

شواخص : جمع شاخص وهو أن يفتح عينه لا يطرف . صمصام : سيف باتر لا ينثني ، وقوله : " شَوَاخِصًا أَبْصَارُهَا " كناية عن شدة هول المعركة ؛ لأن الجياد المدربة على القتال إذا ظلت أعينها محدقة مفتوحة في ساحة الحرب فهذا يدل على هول المعركة وشدتها ، والبيت الأول يؤكد على ذلك ، ويدل عليه بوضوح كما ترى ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم من/٤٢] أي لا تتحرك أبصارهم من هول ما تراه ، وقوله : " بِكُلِّ مُهَنَّدٍ صَمْصَامِ " استعار السيوف المهندة الصمصامة للفرسان في مُضيِّ عزائمهم وحسمهم للنزاع في أرض المعركة ، وهذا ثناء على فرسان تلك الجياد الذين لم يأبهوا لهول المعركة وشدتها بل حاربوا بكل حسم وعزم وقوة وجسارة ، وهي كناية قريبة خفية تحتاج إلى بعض التأمل في إدراكها، وقد جاءت بعينها على لسان المخضرم تميم بن أبي بن مقبل في قوله(٢):

يَا أُخْتَ آلِ شِهَابٍ هَلْ عَلِمْتِ إِذَا ... أَنْسَى الحَرَائِرَ اللَّبْسَةِ الفَزَعُ

---

(١) ديوان بني بكر في الجاهلية ٥٣٠ ، وشعراء النصرانية ٣/ ٢٧٨ ، وديوان الخيل ١/٢١٧ .

(٢) ديوان تميم بن أبي بن مقبل ٩٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أَنَّا نَشُدُّ عَلَى الرِّيحِ تَثْرَتَهُ والْخَيْلُ شَاخِصَةُ الأبْصَارِ تَتَّزِعُ

٢ــ وقال قَيْسُ بنُ عَاصِمٍ الْمِنْقَرِيّ يصف الخيل من قصيدة نظمها يوم جدود ، وهو يوم انتصر فيه بنو منقر على بني ربيعة بن بكر بن وائل [١] :

جَزَى اللهُ يَرْبُوعًا بِأَسْوَإِ سَعْيِهَا إِذَا ذُكِرَتْ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا

ويَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُمْ أَبَاكُمُ وَسَالَمْتُمُ والْخَيْلُ تَدْمَى نُحُورُهَا

فضحتم أباكم : كناية عن الهزيمة والفرار، جدود : ماء في ديار بني سعد، وقوله : " والْخَيْلُ تَدْمَي نُحُورُهَا " كناية عن شدة الحرب ، وضراوة المعركة ؛ لأن نحور الخيل إذا تساقط منها الدم فهذا يدل على أنها لم تكن في نزهة برية ، أو رحلة صيد بل تشير إلى أنها كانت في قلب المعركة ، وسهام الفرسان موجهة لها ، ورماحهم مشرعة إليها مما يعني أن المعركة كانت على أشدها .

و" أل " في قوله : " وَالْخَيْلُ " لا يصح أن تكون للعموم العرفي أي خيلهم وخيل أعدائهم بل هي على نية الإضافة أي " وخيلكم تدمى نحورها " ؛ لأن هذا هو الذي يتناسب مع سياق الأبيات في النعي عليهم ، وتعييرهم بالهزيمة والفرار ، ويتناسب أيضا مع قوله : " قَدْ فَضَحْتُمْ أَبَاكُمُ وَسَالَمْتُمْ " ، والكناية هنا أبلغ وآكد من الحقيقة ؛ لأنها كشفت عن شدة المعركة بدليل لا يتطرق إليه شك، وهي كناية لم تتفرد بل وردت بعينها

(١) الأغاني ٧٩/١ ، ٨٠ ، وشعر بني تميم ١٤٥ ، وديوان الخيل ٧١٣/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على لسان أُنَيفِ بنُ جَبَلَةَ في قوله يصف الخيل حين أسر خزيمة بن طارق [1]:

أَخَذْتُكَ قَسْرًا يا خُزَيْمَ بنَ طَارِقٍ ... وَلاقَيْتَ مِنِّي الْمَوْتَ يَوْمَ تَزُورُ

وَعانَقْتُهُ والْخَيْلُ تَدْمَى نُحُورُهَا ... فَأَنْزَلْتُهُ بالْقَاعِ غَيْرَ حَمِيدِ [2]

وعلى لسان زُهَيْر بن زبان في وصف فرس الصُرَّاعُ بن قيس في قوله [3] :

قِفِي رُدَّ عَنَّا الْخَيْلَ تَدْمَى نُحُورُهَا ... حِفَاظًا وَمَا زَلَّتْ بِهِ الْقَدَمَانِ

ووردت كذلك على لسان أسامة بن سفيان البجلي في قوله [4] :

وَمُسْتَلْحَمٍ يَدْعُو وَقَدْ سَاءَ ظَنُّهُ ... بِمَهْلَكَةٍ وَالْخَيْلُ تَدْمَى نُحُورُهَا

٣ـ وقال المتلمس الضبعي من مقطوعة يذكر الخيل [5] :

وَقُلْتُ لِقَوْمِي حِينَ جَاءَ ابْنُ مَالِكٍ ... خُذُوا حَقَّكُمْ مِنْ عُجْبِهَا الْمُتَقَسِّرِ

وَإِنِّي لأَحْمِيهَا وَأُعْطِي رِقَابَهَا ... وَأَمْنَعُهَا وَالْخَيْلُ تَعْثُرُ بِالدَّمِ

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ١٨٨/٥ ، وديوان الخيل ١٣٠/١، ١٣١ .

(٢) تدمى نحورها : تدمى صدورها من أثر الطعن . غير حميد : ذليل مكبل في الأسر .

(٣) أسماء خيل العرب لابن الأعرابي١٥٥ ، ومعجم أسماء خيل العرب ٧٦ ، وديوان الخيل٩٠٠/٢ .

(٤) ديوان الحماسة للبحتري ٦١ ، وديوان الخيل ٨٦٥/٢ .

(٥) ديوان المتلمس الضبعي ، دار صادر ١٤٩ ، وديوان الخيل ٧٦٠/٢ ، ٧٦١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول : واجبي أن أحمي قبيلتي ، وأفدي رقابها ، وأمنع عنها خصومها حين تحتدم الحرب ويكثر القتلى ، فقوله : " وَالْخَيلُ تَعثُرُ بِالدَّمِ " كناية عن احتدام المعركة وشدتها وضراوتها ؛ لأن الخيل المنتصرة إذا تعثرت بالدماء فهذا يستلزم كثرتها وتراكمها ، وكثرة الدماء وتراكمها يستلزم كثرة القتلى من أعدائهم ، وكثرة القتلى تستلزم سخونة المعركة وشدتها وضراوتها ، فهي كناية بعيدة لها وسائط عديدة كما رأينا ، وهي بلا شك أقوى وأبلغ في إثبات المعنى من الحقيقة المجردة لو ذكرها ، كما أنها تشي بوضوح عما آلت إليه الأوضاع في هذه الحرب ، وكيف كان حال الأعداء فيها ، وقد وردت بعينها على لسان المهلهل بن ربيعة في قوله [1] :

وَلَقَدْ شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ سَرَوَاتِهِمْ وَالْخَيْلُ تَعْثُرُ فِي الدِّمَاءِ وَتَعْبَسُ

وورد قريب منها على لسان حاتم الطائي في قوله من قصيدة فخرية [2] :

وَلا تَسْأَلِينِي وَاسْأَلِي أَيَّ فَارِسٍ إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ فِي قَنًا قَدْ تَكَسَّرَا

وجاءت هذه أيضا بعينها على لسان عَمْرُو بن النُّعْمَانِ بنِ الْبَرَاءِ في وصف جواده " يسار " بقوله [3] :

---

(١) مجالس ثعلب ٥٨٥/٢ ، والشطر الأول في ديوانه ٤٧ .

(٢) ديوان حاتم ، طبعة دار بيروت ٤٨ ، وديوان الخيل ١٩٤/١ .

(٣) أسماء خيل العرب للغندجاني ٢٠٧ ، ٢٧٢، ومعجم أسماء خيل العرب ٢٥٠،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سائل يسارا أي فارس نجدة إذا الخيل جالت في قنا قد تكسرا

فالقنا أي : الرماح المتكسرة ، تشير إلى أن المعركة كانت طويلة شديدة حتى امتلأت ساحة المعركة بها ، فجالت الخيل فيها وتخبطت .

وقريبٌ من ذلك جاء على لسان السفاح بن خالد في قوله (١) :

فيها الكُمَاةُ بَنُو الكُمَاةِ كَأَنَّهُمْ وَالْخَيْلُ تَعْثُرُ فِي الْوَغَى بِقَنَاهَا

وعلى لسان عنترة بن شداد في قوله (٢) :

وَالْخَيْلُ تَعْثُرُ بِالْقَنَا فِي جَاحِمٍ تَهْفُو بِهِ وَيَجُلْنَ كُلَّ مَجَالِ

وعلى لسان أنس بن العباس الرعلي في قوله (٣) :

وَالْحَرْبُ بَادِيَةٌ نَوَاجِذُهَا وَالْخَيْلُ تَعْثُرُ فِي الْقَنَا السُّمْرِ (٤)

وقريب من ذلك أيضا جاء على لسان طُفَيْلِ النَّهْدِيِّ الْقُضَاعِي في قوله (٥) :

وديوان الخيل ٩٢٢/٢ .

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ١١٧ ، وديوان الخيل ٤١٧/١ .

(٢) شرح ديوان عنترة ١٠٦، وديوان الخيل ٦٦٥/٢ .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ١٠٣ ، وديوان الخيل ١٢٨/١ .

(٤) قوله بادية نواجذها : كناية أيضا عن شدة استعار الحرب . تعثر : تتعثر في قطع القنا .

(٥) أسماء خيل العرب للغندجاني ١٩٧ ، ومعجم أسماء خيل العرب ٢٣٩ ، وديوان الخيل ٩١١/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فَلَيْتَكَ كُنْتَ تُبْصِرُ حِينَ كَرَّتْ ذُكُورُ الْخَيْلِ تَعْثُرُ فِي الرِّمَاحِ

فقوله : " ذُكُورُ الْخَيْلِ تَعْثُر فِي الرِّمَاحِ " كناية واضحة عن شدة المعركة . وخص هنا ذكور الخيل ؛ لأنها أقوى وأشد وأتم صحة ، فإذا كانت الذكور تتعثر فما بالك بالإناث ؟ فالكناية تصوير دقيق ورائع للمعركة وكل ما فيها ، وهي كناية بعيدة ذات وسائط عديدة شأن سوابقها ، وقريب مما سبق أيضا ، ولكنها أقوى خيالا ، وأبلغ تصويرا ورد على لسان مَفْرُوق بن عَمْرٍو في قوله (١) :

وأخٍ يُجِيبُ الْمُسْتَضَافَ إِذَا دَعَا وَالْخَيْلُ تَعْثُرُ فِي الْغُبَارِ رُزِيتُ (٢)

٤ــ وقال خداش بن زهير يصف الخيل من قصيدة فخرية (٣) :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ سَاهِمَةً إِلَيْهِمْ عَوَابِسَ يَدَّرِعْنَ النَّقْعَ قُودَا

الساهمة : الضامرة المتغيرة اللون . عوابس : كريهات المنظر من أثر الحرب وشدتها . يدرعن : أي الخيل يغطيها النقع وهو الغبار الساطع الذي يثور من حوافرها القود : جمع أقود ، وهو الفرس الطويل

---

(١) المؤتلف والمختلف٥٢ ، وديوان بني بكر ٤٤٧ ، وديوان الخيل ٧٩٧/٢ .

(٢) أخ يجيب المستضاف: يقصد نفسه . تعثر في الغبار : لعدم وضوح الرؤيا من شدة الغبار ، وهذا ناجم عن كثرة الكر والفر من شدة المعركة وضراوتها . رزيت : أصيب برزية .

(٣) شعر خداش بن زهير العامري صنعة د / يحيى الجبوري ٤٤ ، وديوان الخيل ٢٥٥/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العنق والظهر ، أراد يجلل النقع هذه الخيول ، ويلفها من كثرته ، فقوله : " عَوابِسَ يَدَّرِعْنَ النَّقْعَ قُودَا " كناية عن شدة المعركة ؛ لأن الخيل المجللة بالغبار تستلزم شدة التلاحم وقوة الاختلاط ، وشدة التلاحم وقوة الاختلاط تستلزم شدة المعركة وضراوتها ، فهي كناية بعيدة ذات وسائط.

واللافت للنظر أن المعنى الأصلي هنا يمكن تحققه فالمعركة شديدة ضارية والنقع فيها بالفعل يغطي الخيول ، وهذا لاشك أدخل في صنعة الكناية ، والعناصر اللفظية الأخرى مثل : " سَاهِمَة وَعَوَابِس " تؤكد على ما ذهبنا إليه ، وهي صورة وحيدة فريدة لم تتكرر بصيغتها في الجاهلية.

هذا ، ويجوز أن يكون المكني به المذكور هنا كناية عن كثرة الجيش ، وسعة انتشاره في ميدان المعركة مما أدى إلى تناثر الغبار حتى ادرعته الخيل .

٥ـ وقال المهلهل بن ربيعة يصف الخيل من مرثية في أخيه " كليب" [1] :

وَأَبْكِي وَالنُّجُومُ مُطَلَّعَاتٌ ... كَأَنْ لَمْ تَحْوِهَا عَنِّي الْبِحَارُ

عَلَى مَنْ لَوْ نُعِيتُ وَكَانَ حَيًّا ... لَقَادَ الْخَيْلَ يَحْجُبُهَا الْغُبَارُ

نعيت : جاء خبر موته . لقاد الخيل يحجبها الغبار : أي لأشعل الحرب العظيمة التي لا تُرى فيها الخيل الكثيرة من شدتها ، فقوله : " لَقَادَ الْخَيْلَ يَحْجُبُهَا الْغُبَارُ " كناية عن اشتداد المعركة واشتعال وطيسها

(١) ديوان مهلهل بن ربيعة ٣١ ، ٣٢ ، وديوان الخيل ٨٠٢/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العارم ؛ لأن الغبار الذي يحجب الناظرين عن رؤية الخيل لا يكون بهذه
الصورة إلا إذا كانت الخيل كثيرة متلاحمة كارة فارة مقبلة مدبرة ، وهذا
يستلزم كثرة الغبار وكثافته ، وكثرة الغبار وكثافته يستلزم شدة المعركة
وضراوتها ، فهي كناية مركبة بعيدة ذات وسائط عدة كسابقتها .
والتقاطها يحوج إلى إعمال نظر وقوة فكر ، وهذا من مكامن حسنها .
وهذه الكناية لم تتكرر بنظمها بل هي فريدة وحيدة في مبناها ، وهي أشد
مبالغة من سابقتها؛ لأن الغبار هناك كان يلف الخيل ويغطيها ولكنها تُرى
، أما هنا فالغبار كان كثيفا جدا منع الخيل من أن يراها أحد مما يشير إلى
ضراوة المعركة ، وشدتها المتناهية .

٦ــ وقال الأفوه الأودي من قصيدة مفتخرا بنفسه وقومه واصفا الخيل [٢] :

وَبِرَوْضَةِ السُّلَّانِ مِنَّا مَشْهَدٌ ... وَالْخَيْلُ شَاحِيَةٌ وَقَدْ عَظُمَ الثُّبَى

السلان : جبل بجوار خزاز كانت فيه مواقع وحروب للعرب .
شاحية : فاتحة أفواهها ، يقال : « جاءت الخيل شواحي : فواغر » [٣]
الثبى : الجماعة من الفرسان : مفردها ثبة ، وقوله : " وَالْخَيْلُ شَاحِيَةٌ
وَقَدْ عَظُمَ الثُّبَى " كناية عن ضراوة المعركة وشدة القتال ؛ لأن الخيل

---

[٢] ديوان الأفوه الأودي شرح وتحقيق د/ محمد التونجي ٥٣ ، وديوان الخيل
والرماية الزمخشري " ش.ح.و " ٢٢٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القوية إذا فتحت أفواهها فهذا يدل على كللها وإجهادها ، وهذا يستلزم ضراوة المعركة وشدتها التي جعلت الخيل تبدو بهذه الصورة ، وهي كما ترى كناية بعيدة ذات وسائط أحوجت إلى التأمل والتدبر في التقاطها كسابقتيها ، وهي كذلك صورة وحيدة فريدة لم تتكرر قط في مبناها في ديوان الخيل في الجاهلية .

٧ـ وقال شمعلة بن الأخضر يصف الخيل [١] :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَكْنَافِ فَلْجٍ تَرَى فِيهَا مِنَ الْغَزْوِ اقْوِرَارَا

جلبنا : سقنا . فلج : موضع بين البصرة وضرية ، وقيل واد بين البصرة ومكة اقورارا : تشنج الجلد وتقبضه وتقلصه ، والتشنج والاقورار لا يحدث للخيل الواقفة في أفنيتها المرابطة في ساحاتها بل يحدث للذي أصابها الكلل والإجهاد ، وهذا كله نتيجة حتمية لضراوة المعارك والغزوات التي تخوضها ، فقوله : " تَرَى فِيهَا مِنَ الْغَزْوِ اقْوِرَارَا " كناية عن شدة المعركة وضراوتها كما تبين ، وهي كناية متفقة مع سابقتها في المعنى العام ، ولكنها مختلفة عنها في صياغتها كما هو واضح ، ومن يتأمل يجد أنها أيضا كناية بعيدة ذات وسائط ، والمكني به لا شك يجوز إرادته ، ولا تمنع القرينة من ذلك لأنها احتمالية لا عنادية ، كما أنها فريدة في مبناها لم يُنسج على منوالها.

* * *

(١) شعر ضبة وأخبارها ٢٢٦ ، وديوان الخيل ٤٤٩/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة الثانية : الكناية عن التعب والكلل والإجهاد ، ووردت خمس مرات .

١ــ قال عمرو بن كلثوم من معلقته مفتخرا واصفا الخيل (١) :

تَقُودُ الْخَيْلَ دامِيَةً كُلاهَا إلَى الأعْدَاءِ لاحِقَةً بُطُونَا

الكلى : جمع كُلية ، وهي العضو المعروف في الخاصرة ، وعندما تدمى فذلك خطر الموت ، وقوله : " نَقُودُ الْخَيْلَ دامِيَةً كُلاهَا " كناية عن الإجهاد والإرهاق ؛ لأن الخيل إذا دميت كلاها فهذا يعني أنها وصلت إلى حالة مزرية من التعب والإرهاق ، وهذه الكناية تكررت بنصها على لسان عمرو بن كلثوم أيضا في قوله (٢) :

صَباحَ الْخَيْلِ دَامِيَةً كُلاها تَرَقَّصُ بِالْفَوارِسِ كَالظِّبَاءِ

وعلى لسان النعمان بن زرعة التغلبي في قوله (٣) :

وَلَمَّا أنْ رَأَيْتُ أَبَا شُتَيْر يَرُدُّ الْخَيْلَ دَامِيَةً كُلاَهَا

وعلى لسان الخنساء في رثاء صخر بقولها (٤) :

يَرُدُّ الْخَيْلَ دَامِيَةً كُلاها جَدِيرٌ يَوْمَ هيجا أن يَصِيدَا

ولكنها في البيتين الأخيرين كناية واضحة عن تعب الخيل

---

(١) ديوان عمرو بن كلثوم شرح /عبد القادر مايو ٨١ ، وديوان الخيل ٦١٦/٢ .

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ٧٩ ، والبيت ليس في ديوانه .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ٨٧ ، وديوان الخيل ٨٣٣/٢ .

(٤) ديوان الخنساء ٣٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإجهادها بعد عودتها من المعركة كما هو بين من سياقهما لمن يتأمل ، وهذا عكس بيتي عمرو بن كلثوم فإن عبارة " دامِيَةً كُلاهَا " فيهما كناية عن تعبها قبل ذهابها إلى المعركة ، ومن ثم يجوز أن تكون هذه الجملة أيضا كناية عن شدة بأسهم وجبروتهم ؛ لأنهم صاروا إلى المعركة ، وهم يقودون الخيل دامية الكلى على تلك الهيئة المزرية ، وهذا ما أرجحه في بيتي عمرو بن كلثوم ؛ لأنه الذي يتلاءم مع عنفوان الشاعر ، ويتناغم مع السياق العام لمعلقته ، وفي هذا ثناء على شدة تحمل الخيل ؛ لأنها انصاعت لفرسانها الذين يقودونها وهي على تلك الصورة .

٢ـ وقال زُهَيْرُ بنُ أبي سُلمى يمدح هرم بن سنان واصفا الخيل[١]

:

غَزَتْ سِمَانًا فَآبَتْ ضُمَّرًا خُدُجًا مِنْ بَعْدِ ما جَنَبُوهَا بُدَّنًا عُقُقَا[٢]

فقوله : " آبَتْ ضُمَّرًا خُدُجًا " كناية عن تعب الخيل بعد رجوعها من غزوها ؛ لأن الخيل التي تغدو إلى الغزو سمانا وتروح عجافا فهذا يدل على طول الغزو وبعد الشقة ، وذاك يستلزم بطبيعة الحال كللها وإرهاقها ، وفضل الكناية على الحقيقة هنا أنها أوضحت المعنى مصحوبا بدليله مشفوعا ببرهانه ، وبالغت في تصوير حالة الكلل والتعب فصورتها

(١) شعر زهير صنعة الشنتمري ٧٣ ، وديوان الخيل ٣٦٩/١ .

(٢) الخدج : التي تلقي أولادها من غير تمام . العقق : التي استبان حملها . جنبوها : أي قادوها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أتم تصوير ، وهي كناية متفردة في مبناها لم يحذ جاهلي حذوها .

* * *

الصورة الثالثة : الكناية عن الراحة بعد التعب ، ووردت في موطن واحد .

ـ قال لبيدُ بن ربيعة يصف الخيل من قصيدة رثى فيها النعمان بن المنذر[1] :

إِذَا وَضَعُوا أَلْبَادَهَا عَنْ مُتُونِهَا ... وَقَدْ نَضَحَتْ أَعْطَافُهَا وَالْكَوَاهِلُ

يُلاقُونَ مِنْهَا فَرْطَ حَدٍّ وَجُرأَةٍ ... إِذَا لَمْ تُقَوِّمْ دَرْأَهُنَّ الْمَعَاجِلُ

نضحت : سالت بالعرق ، أعطافها : جوانبها ، " يُلاقُونَ " جواب إذا في البيت السابق . وقوله : " إِذَا وَضَعُوا أَلْبَادَهَا عَنْ مُتُونِهَا " كناية عن راحة الخيل بعد تعبها وكللها ؛ لأن اللبود إذا وضعت عن الخيل بعد عودتها من ميدان المعركة فهذا يدل على أنهم وصلوا إلى بيوتهم ، وأن خيولهم بدأت تلتقط أنفاسها ، وتستريح بعد تعبها ، والشاعر لا يهدف إلى الكناية عن ذلك وحسب ، ولكنه يريد أن يبني على هذه الكناية الأولى كناية أخرى عن قوتها المتناهية ، وشدتها الطاغية في قوله : " يُلاقُونَ مِنْهَا فَرْطَ حَدٍّ وَجُرأَةٍ " أي على الرغم من ذلك كله فهي قوية نشيطة وهاجة وثابة ، هذا هو مكمن مقصد الشاعر الذي يريد الثناء على قوتها وشدة تحملها ، وكأن الكناية الأولى قد تولدت من رحمها كناية أخرى ،

(١) ديوان لبيد ١٣٣ ، وديوان الخيل ٢/ ٧٣٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهي شدة نشاط الخيل وقوتها وعدم تأثرها ، وكأننا أمام خيلٍ أسطورية لا نظير لها ، وهي كناية وحيدة فريدة مبنى ومعنى في ديوان الخيل .

* * *

الصورة الرابعة : الكناية عن القرب المكاني ، ووردت في موضع واحد .

قال أبو سفيان يصف الخيل من قصيدة نظمها في غزوة أحد [1] :

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِي كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ ... وَلَمْ أَجْعَلِ النَّعْمَاءَ لابْنِ شَعُوبِ [2]

وَمَا زَالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمُ ... لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى دَنَتْ لِغُرُوبِ

مزجر الكلب : يريد أنه لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذي يُزجر الكلب فيه دنت لغروب أي الشمس ، وقد أضمرها ولم يتقدم لها ذكر ؛ لأن الغدوة دلت عليها ، فقوله : " وَمَا زَالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمُ " كناية واضحة عن قرب مكانه من المسلمين أثناء محاربتهم؛ لأنه يلزم من هذا التركيب القرب لا محالة .

وآثر الشاعر هذه الطريقة على ذكر الحقيقة ؛ لأنها تدلل على شجاعته ، وتقيم الحجة على فروسيته بدليل لا يتطرق إليه شك ، ولا يخامر النفوسَ فيه ريب ، وهو بذلك يثني على نفسه ، ويزيل الشك من

---

(١) الحيوان للجاحظ ١/ ٣١٨ ، والسيرة النبوية ٧٦٣ ، وديوان الخيل ٤١٨/١ .

(٢) النعماء : النعمى . ابن شعوب : هو أبو بكر بن شعوب الذي نجا بسببه أبو سفيان يوم أحد ، انظر تفاصيل ذلك في تاريخ مدينة دمشق ٤٤٢/٢٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نفوس من يظنون أو يعتقدون بتقهقره أو فراره ويؤكد على أنه لم يكن بعيدا عن ميدان الحرب ومعمعة القتال بل كان قريبا جدًا ، علاوة على ما في الكناية من أبلغية في إثبات المعنى لا تضارعها الحقيقة هنا ، وهذا ما أكدنا عليه مرارا ، وهي كناية غريبة عجيبة فريدة مبنى ومعنى كما ترى.

وبعد ، فتلكمُ كانت الكنايات الحسية في ديوان الخيل على اختلاف أنواعها وصورها ، ويلاحظ في كل هذه الصور والمواضع أن المكني به كان حسيا والمكني عنه كذلك ، ولا يخفى ما للتصوير الحسي ، وبخاصة في الطرفين من إظهار تام وشفاف للدلالة يجعلها أكثر وضوحا ورسوخا في الذهن ، وتقريرا في الوجدان .

كما يلاحظ أن الكنايات في هذه المواضع قد تراوحت بين كنايات قريبة سهلة الاستنتاج يسيرة الاستنباط وهي الأكثر عددًا ، وكنايات خفية أعوزت إلى بعض التأمل وبعيدة ذات وسائط عديدة أحوجت إلى التأمل والتدبر في التقاطها ، وهما الأقل عددا .

كما يلاحظ أنها وردت أحيانا مفردة ، وغالبا مركبة ، وهي في مجملها تتسم بالسهولة والبعد عن التعقيد مثل سهولة طبائع الجاهليين ، وهذا جلي جدا لكل متأمل .

ثانيا : الكنايات المعنوية أي أن المكني عنه ــ المستور ــ جاء معنويا .

ومن يتأمل صور هذه الكنايات المعنوية يجد أنها وردت على

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قسمين : كنايات اتصلت بالخيل ، وكنايات اتصلت بالفرسان ، وسوف ندرس كل قسم على حدة .

أولا : الكنايات التي تتصل بالخيل نفسها ، ووردت في تسع صور .

الصورة الأولى : الكناية عن إكرام الخيل وإعظامها والاهتمام بها [1] .

وجاءت الكناية عن هذه الصفة في ديوان الخيل على صياغات مختلفة في اثنين وثلاثين موضعا .

١ـ قال حَنْظَلَةُ بنُ فَاتِكٍ الأَسَدِيِّ من مقطوعة يصف فرسه " حزمة "[2]:

جَزَتْنِي أَمْسِ حَزْمَةُ سَعْيَ صِدْقٍ ... وَمَا أَقْفَيْتُهَا دُونَ الْعِيَالِ

أقفيتها : آثرتها وخصصتها ، يقال : « أصفيته بكذا ، وأقفيته : خصصته ، وآثرته »[3] يعني أنه آثر حزمة باللبن دون عياله فلذات

---

(١) مناط الإكرام والإعظام يتمثل في أمور ١ـ تفضيل الخيل على العيال ٢ـ إيثارها على الزوجات ٣ـ اختصاصها باللبن المحض ٤ ـ تخصيص الجل واللقوح لها ٥ ـ تدفئتها بأرديتهم شتاء ٦ـ إطعام بناتهم لها دون سواهن ثقة بهن ٧ـ ارتباطها قرب بيوتهم وعدم تركها هاملة في المراعي.

(٢) أنساب الخيل لابن الكلبي ٣٥ ، وشعر قبيلة أسد ٣٣٣ ، وديوان الخيل ٢٤٧/١.

(٣) أساس البلاغة " ق.ف.و " ٣٧٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أكباده ، وقوله : " وَمَا أَفْضَيْتُهَا دُونَ الْعِيَالِ " كناية عن إكرامها واختصاصها والاهتمام بها ؛ لأن تفضيلها على عياله الذين هم فلذة من كبده يستلزم أن تكون لحزمة مكانة في نفسه لا تضارعها مكانة عياله وهذا دليل بين ، وبرهان ساطع على إكرامها والاهتمام بها والحنو والحدب عليها .

والجملة المكنى بها – وهي المعنى الحقيقي – يجوز أن تكون من مقصود الشاعر أيضا فهو يفضلها فعلا على عياله مأكلا ومشربا . والكنايات التي يتحقق فيها المكني به والمكني عنه تعد من أحسن الكنايات ؛ لأنها تنعكس على الأسلوب بالغنى والثراء ، وتجعله عبئا يتحمل وجوها دلالية كثيرة ، وفي هذا ما فيه من إعمال للقريحة وإيقاظ للذهن ليلتقط كل الدلالات المحتملة .

وخص العيال دون الأولاد ؛ لأنهم أكثر حاجة وعيلة ، أي : هو يقدمها على عياله الذين هم عالة عليه وفي أشد الحاجة إليه ، فهو تعبير دقيق في هذا السياق كما ترى ، وهذا المعنى في إكرام الخيل وإعظامها تمدح به شعراء كُثُرٌ ، وجاء على صور شتى وتعابير مختلفة يطول بنا المقام لو أوردناها مفصلة ، ونكتفي هنا – مراعاة للاختصار – بذكر الأبيات التي تشير إلى هذا المعنى الكنائي .

١– قال حَنْظَلَةُ بنُ فَاتِك الأَسَدِيُّ أيضا يصف فرسه " حزمة " [1] :

أَعْـدَدْتُ حَزْمَـةَ وَفْـيَ مُقْرَبَـةً ... تُقْفَـى بِقُـوتِ عِيَالِنَـا وَتُـصَانُ

(١) لسان العرب " حزم " ، وشعر قبيلة أسد ٣٣٤ ، وديوان الخيل ٢٤٧/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ـ وقال عمرو بن قميئة من قصيدة مدح فيها سعد بن ثعلبة وقومه[١] :

بِدُهْمٍ ضَوَامِنَ لِلْمُعْتَفِينَ ... أَنْ يَمْنَحُوهُنَّ قَبْلَ الْعِيَالِ[٢]

٣ـ وقال عمرو بن براقة الهمداني يصف الخيل[٣] :

عَبَرَتْ خَيْلُنَا نُقَاسِمُهَا الْقُو ... تَ وَلَمْ يُبْقِ حَاصِدُ الْمَحْلِ عُودَا

شَرْبَةٌ تُوسِعُ الْجِمَالُ لَهَا الرَّسْ ... لَ وَنُسْقِي عِيَالَنَا تَصْرِيدَا[٤]

٤ـ وقال عمرو بن مالك في وصف جواده[٥] :

وَسَابِحٍ كَعُقَابِ الدَّجْنِ أَجْعَلُهُ ... دُونَ الْعِيَالِ لَهُ الإِيثَارُ وَاللُّطَفُ[٦]

٥ـ وقال خداش بن زهير من قصيدة يصف كيفية إكرامه

---

(١) ديوان عمرو بن قميئة ، تحقيق الصيرفي ٥٩ ، وديوان الخيل ٦٠٨/١ .

(٢) الدهم : جمع الأدهم ، وهو الأسود من الخيل والإبل ، والعرب تقول : ملوك الخيل دهمها .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١٣٧، وشعر همدان وأخبارها ٢٧٣ ، وديوان الخيل ٥٩٦/١ .

(٤) التصريد : الشرب دون الري . والرسل : اللبن ، يعني أننا نؤثر جيادنا باللبن على أبنائنا .

(٥) الخيل لأبي عبيدة ١٠٨ ، والأنوار ومحاسن الأشعار ١٣٨ ، وديوان الخيل ٩٢٠/٢ .

(٦) عقاب الدجن : تكون أسرع لطيرانها طلبا لوكرها قبل أن تلحقها السحاب .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لفرسه[1] :

بِسَاهِمَةٍ أَهْنَتُ لَهَا عِيَالِي وَأَمْنَحُهَا الْخَلِيَّةَ وَالسُّعُونَا

٦ـ وقال ربيعة بن مقروم الضبي من قصيدة واصفا الخيل[2] :

وَجُرْدًا يُقَرِّبْنَ دُونَ الْعِيَالِ خِلَالَ الْبُيُوتِ يُلَكْنَ السُّكَيْنَا

٧ـ وقال مالك بن نويرة من مقطوعة يصف فرسه "ذو الخمار"[3]:

جَزَانِي دَوَائِي ذُو الْخِمَارِ وَصَنْعَتِي إِذَا بَاتَ أَطْوَاءً بَنِيَّ الأَصَاغِرُ[4]

أُعَلِّلُهُمْ عَنْهُ لِيُغْبَقَ دُونَهُمْ وَأَعْلَمُ عِلْمَ الظَّنِّ أَنِّي مُغَادِرُ[5]

٨ ـ وقال زيد الخيل الطائي واصفا فرسه الهطال[6] :

---

(١) شعر خداش بن زهير العامري ٤٢ ، وديوان الخيل ٢٥٤/١ .

(٢) ديوان ربيعة بن مقروم ٥٦ ، والمفضليات ١٨٥، وديوان الخيل ٣٤٩/١ .

(٣) الخيل لأبي عبيدة ١١٨ ، ومعجم أسماء خيل العرب ١٣٢ ، وديوان الخيل ٧٥٦/٢ .

(٤) دوائي: تضميري له . بات : نام . أطواء : جياع ، ولعل الصواب طواء ، وهو جمع طو بمعنى جائع ، وأما أطواء فهي بمعنى طي التي من معانيها الغل والحقد .

(٥) أعللهم : أسليهم وألهيهم . يغبق دونهم : أي يشرب لبن الغبوق وهو الشرب بالعشي .

(٦) ديوان زيد الخيل الطائي ٨٩ ، وديوان الخيل ٣٩٥/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أَسَـــوِّيهِ بِمِكْنَـــفَ إِذْ شَـــتَوْنَا وَأُوثِـــرُهُ عَلَـــى جُـــلِّ الْعِيَـــالِ (١)

٩ـ وقال عنترة بن شداد يرد على امرأته لما لامته على اهتمامه بمهره (٢) :

لا تَـــذْكُرِي مُهْـــرِي وَمَـــا أَطْعَمْتُـــهُ فَيَكُـــونَ جِلْـــدُكِ مِثْـــلَ جِلْـــدِ الأَجْـــرَبِ (٣)

إِنَّ الْقَبُـــوقَ لَـــهُ وَأَنْـــتِ مَـــسُوءَةٌ فَتَـــأَوَّهِي مَـــا شِـــئْتِ ثُـــمَّ تَحَـــوَّبِي (٤)

١٠ـ وقال دَجَاجَةُ بنُ عَبْدِ القَيْس يصف فرسه من قصيدة يتذكر شبابه (٥) :

ثُـــمَانٌ وَتُعْطَـــى قَبْـــلَ أَهْلِـــكَ قُوتَهَـــا إِذَا الـــشَّوْلُ طَافَـــتْ بـــالرَّذِيِّ الْمُجَلَّـــلِ (٦)

---

(١) مكنف : ابن الشاعر وكان يكنى أبا مكنف . شتونا : دخلنا في الشتاء . أوثره : أفضله .

(٢) شرح ديوان عنترة ١٨ ، وديوان الخيل ٦٣٣/٢ .

(٣) يقول : لا تلوميني على ما أطعم مهري ، وإلا نفرت منك كما يُنفر من الأجرب.

(٤) يقول إنه سيخص مهره بألبان العشي ، وإن ساءها ذلك ، وهذا كناية واضحة عن الإكرام .

(٥) الاختيارين ٦٨٥ ، وديوان الخيل ٢٩٣/١ .

(٦) الشول : جمع شائلة ، وهي الناقة التي نقصت ألبانها . الرذِيُّ : الفصيل الذي يهلك من برد ، أو حر وذلك في وقت الجدب . المجلل : المغطى من كل برد وحر .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١١ــ وقال عَدِيُّ بنُ أُمَيَّةَ الضَّبِّيّ في جواده " العرن" (١)

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتٌ أَهْلَكَتْ إِرَمًا هَلْ يُجْزِيَنِّي بِمَا أَبْلَيْتُهُ العَرِنُ

اقْفَيْتُهُ دُونَ أَهْلِي مَا يُسَرُّ بِهِ لَهُ حَلِيبٌ وَتَارَاتٌ لَهُ لَبَنُ

١٢ــ وقال مالك بن نويرة من مقطوعة يصف جواده (٢) :

أُعَلِّلُ أَهْلِي عَنْ قَلِيلٍ مَتَاعِهِمْ وَأَسْقِيهِ مَحْضَ الشَّوْلِ وَالْحَيُّ فَائِتُ

١٣ــ وقال شَمْعَلَةُ بنُ الأَخْضَرِ بنِ هُبَيْرَةَ الضبي يصف فرسه(٣) :

نُولِيهَا الصَّرِيحَ إِذَا شَتَوْنَا عَلَى عِلَّاتِنَا وَنَلِي السِّمَارَا(٤)

١٤ــ وقال زهير بن جناب الكلبي من قصيدة مفتخرا واصفا

---

(١) معجم الشعراء للمرزباني ٨٣ ، وشعر ضبة ١٣٣، وديوان الخيل ٥٦١/١ .

(٢) الخيل لأبي عبيدة ١١٨ ، ومعجم أسماء خيل العرب ١٣٢ ، وديوان الخيل ٧٥٨/٢ .

(٣) شعر ضبة ٢٢٧ ، وأسماء خيل العرب لابن الأعرابي ٩٩ ، وديوان الخيل ٤٥٠/١ .

(٤) نوليها الصريح : نؤثرها بالصريح من اللبن وهو الخالص غير الممزوج بالماء . السمار من اللبن ما كان ثلثاه ماء ، أو ثلاثة أرباعه ماء ، والباقي لبن ، والمذيق دونه ، وهو كناية عن الإكرام .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخيل[1] :

وَخَيْلٍ جَعَلْنَاهَا دَخِيلَ كَرَامَةٍ عَتَادًا لِيَومِ الْحَرْبِ تُحْفَى وَتُغْبَقُ[2]

١٥ـ وقال المتلمس الضبعي من قصيدة هجا فيها عمرو بن هند[3] :

أَبْقَتْ لَنَا الأَيَّامُ وَالـ لَزْبَاتُ وَالْعَانِي الْمُرَهَّقُ

جُرْدًا بِأَطْنَابِ الْبُيُو تِ تُعَلُّ مِنْ حَلَبٍ وَتُغْبَقُ[4]

١٦ـ وقال سَلامَةُ بنُ جَنْدَلٍ من قصيدة مفتخرا بقومه واصفا جواده[5] :

لَيْسَ بِأَقْنَى وَلا أَسْفَى وَلا سَغِلٍ يُسْقَى دَوَاءَ قَفِيِّ السَّكْنِ مَربوبِ[6]

---

(١) ديوان زهير بن جناب الكلبي صنعة ٨٩ ، وديوان الخيل ٣٨٤/١ .

(٢) الدخيل : الضيف . عتادا ليوم الحرب : أي تعقد رايتها يوم الحرب . تغبق : تسقى شراب العشي .

(٣) ديوان المتلمس الضبعي ، دار صادر ١٢٥، وديوان الخيل ٧٦٠/٢ .

(٤) الحلب : استخراج ما في الدرع من اللبن . المعنى : أبقت لنا الأيام خيلا كريمة سريعة مربوطة بحبال خيامنا تسقى صباحا ومساء استعدادا للهجوم على عمرو بن هند .

(٥) ديوان سلامة بن جندل ٩٨ ، والمفضليات ١٢١، وديوان الخيل ٤١٩/١ .

(٦) الأسفى : الخفيف شعر الناصية . الأقنى : الذي في أنفه احديداب . السغل : المضطرب الأعضاء . يسقى دواء : صفة لقوله ولا سغل . القفي : الذي يسقى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٧ـ وقال لبيد بن ربيعة من قصيدة مفتخرا واصفا الخيل [١] :

وَإِنَّـا أُنَـاسٌ لا تَـزَالُ جِيَادُنَـا ... تَخُـبُّ بِأَعْـضَادِ الْمَطِـيِّ مُحَنَّفَا [٢]

تَكُـرُّ أَحَالِيـبُ اللَّدِيـدِ عَلَـيْهِمُ ... وَتُوفَى جِفَانُ الضَّيْفِ مَحْضًا مُعَمَّمَا [٣]

١٨ـ وقال الزبرقان بن بدر يذكر حصانه الرقيب من بيتواحد [٤] :

أُقْفِـي الرَّقِيـبَ أُدَاوِيـهِ وَأَمْـنَعُهُ ... عَـارِي النَّوَاهِـقِ لا جَـافٍ وَلا قَفِرُ [٥]

١٩ـ وقال متمم بن نويرة يصف جواد الصيد من قصيدة نمطها جاهلي [٦] :

اللبن ويؤثر به دون أهل البيت . مربوب من التربية أراد أنه لا يرسلا مهملا، ولكنه يحبس عند البيوت، ويصان ويعطى قوت السكن كله.

(١) ديوان لبيد ١٩٧ ، وديوان الخيل ٧٣٥/٢ .

(٢) أعضاد المطي : جوانب المطي . يفتخر بأنهم أهل خير ، وأن خيلهم تقاد بجانب ركائبهم .

(٣) تكر : تعطف على هذه الجياد باللبن أحاليب اللديد . الأحاليب : جمع إحلابة، وهي ما يجمع من الحليب حين تكون الإبل في المرعى. اللديد : اسم موضع. توفى: تعطى. المحض: اللبن الخالص .

(٤) شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم د/ سعود عبد الجابر ٤٠ ، وديوان الخيل ٣٦٠/١ .

(٥) أقفيه : أختصه باللبن . أداويه : أسمنه وأعلفه . النواهق : عظمان شاخصان في مجرى الدمع . ولا قفر : ليس قليل اللحم والشعر .

(٦) المفضليات ٥٢ ، ٥٣ ، وديوان الخيل ٧٦٢/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

داويتُه كُلَّ الدَّواءِ وزِدتُه ... بَذْلاً كَمَا يُعطِي الحَبِيبُ المُوسِعُ (١)

فَلَهُ ضَرِيبُ الشَّوْلِ إلاَّ سُؤْرَهُ ... والجُلُّ فهو مُرَبَّبٌ لا يُخْلَعُ (٢)

٢٠ـ وقال رَبِيعَةُ بنُ مَالِكٍ والد الشاعر لبيد بن ربيعة يصف جواده (٣) :

حَفَوْتُ لَهُ أَهْلِي وَأَلْطَفْتُ جُلَّهُ ... وَأَفْصِلَتِي حَتَّى شَتَوْنَ حَسَاكِلا (٤)

٢١ـ وقال الرَّاهِبُ المُحَارِبِيُّ يصف جواده (٥) :

لَهُ فِي البَيْتِ آصِرَةٌ وَجُلٌّ ... وَتُحْبَسُ عِنْدَ مِزْوَدِهِ لَقُوحُ (٦)

---

(١) الدّواء: مصدر داوى دِواء ، وفتحها اسم لما يُضَمَّرُ به الفرس . الموسع : صاحب السعة .

(٢) الضريب : اللبن الخالص فيه حموضة . وضريب الشول : لبن يحلب من إبل شتى في إناء واحد ولا يكون الضريب من ناقة واحدة . يريد أن فرسه يؤثر باللبن إذا قلت الألبان لشدة الزمان . المربب : الذي يغذونه في بيوتهم . الجل لا يخلع : لأنه مربوب في البيوت ليس مما يرود في المراتع ، وهذا كله كناية واضحة عن الإكرام .

(٣) أسماء خيل العرب لابن الأعرابي ١٣٩، وديوان الخيل ٣٤٦/١ .

(٤) حساكل : مهازيل وهي صغار من الإبل لم ترو من اللبن .

(٥) المؤتلف والمختلف ١٧٩ ، وديوان الخيل ٣٣٩/١ .

(٦) له : الضمير يعود على جواده . آصرة : سبب العطف والعلاقة . جل : جمع جل وهو الغطاء الذي تصان به الدابة . لقوح : الناقة ذات اللبن .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٢ــ وقال عنترة بن شداد من مقطوعة يصف فرسه "جروة "(١):

لَهَا بِالصَّيْفِ أَصْبِرَةٌ وَجِلٌّ ... وَنِيبٌ مِنْ كَرَائِمِهَا غِزَارُ(٢)

٢٣ــ وقال ربيعة بن جشم النمري يتحدث عن جواده " واقع "(٣):

أَتَتْنِي أُمُّ عَبْدِ اللهِ تَلْحَى ... وَمُنْيَتُهَا قَلِيلاً يُسْتَطَاعُ

عَلَى ابْنَةِ وَاقِعٍ لَمَّا رَأَتْهَا ... تُهَانُ لَهَا الرَّوَايَا والرِّبَاعُ(٤)

٢٤ــ وقالت تَمِيمَةُ بِنْتُ أُهْبَان تصف " الورد " جواد عامر بن الطفيل (٥) :

تَضَمَّنَهُ فِي الصَّيْفِ ظِلٌّ وَخَيْمَةٌ ... وَآصِرَةٌ مَا تَسْتَفِيقُ وَحَالِبُ

٢٥ــ وقال الأعشى من قصيدة يمدح فيها هوذة بن علي

---

(١) شرح ديوان عنترة ٦٣ ، وديوان الخيل ٦٣٧/٢ .

(٢) لها : الضمير يعود على جروة فرس عنترة . الأصبرة من الغنم والإبل التي تروح وتغدو على أهلها لا تغرب عنهم . الجِلُّ . البعير .

(٣) معجم أسماء خيل العرب ٣٠٣، وديوان الخيل ٨٩١/٢ .

(٤) الروايا : الإبل تحمل الماء . الرباع : جمع ربع : وهو الفصيل ينتج في الربيع ، وإهانته حرمانه من لبن أمه ليقدم إلى الفرس .

(٥) ديوان الحماسة للبحتري ٧٠ ، وشعر بني عبس ٨١/٢ ، وديوان الخيل ١٧٥/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحنفي [1] :

جِيَادُكَ فِي الصَّيْفِ فِي نِعْمَةٍ تُصَانُ الْجِلَالَ وَتُعْطَى الشَّعِيرَا

٢٦ـ وقال شداد بن معاوية من مقطوعة يصف فرسه جروة [2] :

وَمَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِّي فَإِنِّي وَجَرْوَةَ كَالشُّجَا تَحْتَ الْوَرِيدِ

أَقُوتُهَا بِقُوتِي إِنْ شَتَوْنَا وَأُلْحِفُهَا رِدَائِي فِي الْجَلِيدِ [3]

٢٧ـ وقال خداش بن زهير من قصيدة يصف فرسه [4] :

وَأُلْحِفُهَا إِذَا مَا الْكَلْبُ وَلَّى بَرَاثِنَهُ وَجَبْهَتَهُ الْجَلِيدَا

٢٨ـ وقال أبو سواج الضبي يصف فرسه " بذوة " [5] :

---

(١) ديوان الأعشى ٨٨ ، وديوان الخيل ٦٤/١ .

(٢) العقد الفريد ١٥٦/٥ ، وشعر بني عبس ٢/ ٢٩ ، وديوان الخيل ٤٤٣/٢ .

(٣) ألحفها : من اللحاف أي يغطيها بردائه خوفا عليها من القر ، ويظل هو شاتيا بردانا ، والجليد : شدة البرد الذي تتساقط فيه الثلوج فإذا أكرمها في هذا الوقت القارص ، فما في سواه يكون أكثر كرما ، وهذا غاية في الإكرام والصيانة .

(٤) شعر خداش بن زهير العامري ٤٣ ، وديوان الخيل ٢٥٤/١ .

(٥) النقائض لأبي عبيدة ١/ ٢٠٦ ، وشعر ضبة ١٢٢ ، وديوان الخيل ٤٣٩/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مُقْرَبَـــةً أُجَلِّلُهَـــا رِدَائِـــي إِذَا مَـــا أَلْجَـــأَ الـــصُّرُّ الكَلِيبَـــا (١)

٢٩ـ وقال فَضَالَةُ بنُ هِنْدٍ الأَسَدِيُّ من مقطوعـة يتحـدث مـع جواده(٢):

أَتَـذْكُرُ إِلْبَاسَـيْكَ فِـي كُـلِّ شَـتْوَةٍ رِدَائِـي وَإِطْعَامَيْـكَ وَالْـبَطْنُ سَاغِبُ

٣٠ـ وقال لبيد بن ربيعة من بيت واحد يصف الخيل (٣) :

تَقُـــوتُ أَفْرَاسَـــهُمْ بَنَـــاتُهُمْ يُزْجُـــونَ أَجْمَـــالَهُمْ مَـــعَ الْغَلَـــسِ (٤)

٣١ـ وقال مالك بن زغبة الباهلي من قـصيدة فخريـة يـصف الفرس (٥) :

---

(١) مقربة : أي من بيته لكرمها عليه . أجللها : ألبسها. ردائي : ثوبي ، وليس بعد هذا إكرام .

(٢) أنساب الخيل لابن الكلبي ٤٠ ، وشعر قبيلة أسد ٢٢٦ ، وديوان الخيل ٦٨٩/٢.

(٣) ديوان لبيد ٢٢٦ ، وديوان الخيل ٧٢٨/٢ .

(٤) تقوت : تطعم . يزجون : يسوقون . والمعنى أن هؤلاء الممدوحين يسوقون إبلهم عائدين إلى بيوتهم وقت الغلس من المراعي ، ويتركون خيولهم في بيوتهم تطعمها بناتهم إكراما وإعظاما لها فقوله: " تَقُوتُ أَفْرَاسَهُمْ بَنَاتُهُمْ " كناية عن الإكرام .

(٥) الاختيارين للأخفش الأصغر ١٩٨ ، وديوان الخيل ٧٤٩/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَرَاهَا عِنْدَ قُبَّتِنَا قَصِيرًا وَتَبْذِلُهَا إِذَا بَاقَتْ بَؤُوقُ (١)

هذه هي المواضع التي استقصيتها في الكناية عن الإكرام والإعظام ، وإذا أعدنا التأمل فيها سنجد أنها تدور حول معنى عام واحد هو الإكرام والإعظام ، ولكن بصياغات مختلفة ، وتعابير متنوعة ، ولكلٍّ كناية مذاق طيب ، وأريج عطر وخصوصية دقيقة يدركها ، ويعدد محاسنها مَنْ يقف أمامها بإنعام نظر ، وإرهاف حس

كما يلاحظ في هذه الكنايات أن المعاني الحقيقية – وهي أنهم يفضلونها على العيال والأهل ، ويسقونها اللبن الصريح ، ويخصصون لها الجل واللقوح ، ويدفئونها بأرديتهم شتاء ، ويثقون في إطعامها ببناتهم ، ويرتبطونها قرب بيوتهم – يجوز أن تراد هنا إلى جانب المعنى الكنائي وهو الإكرام والإعظام والاهتمام .

وآثر الشعراء التعبير عن الكناية بتلك التراكيب لتقديم الدليل الدامغ على صحة ادعائهم في إكرامهم وإعظامهم لخيولهم ، علاوة على رسم صورة مرئية لهذا المعنى العقلي الذي يريدون بيانه .

والإكرام على هذا النحو ليس بغريب فنحن في حياتنا اليومية إن

---

(١) قصير : أي مقصورة مقربة لا تترك في المراعي لنفاستها عند أهلها ، باقت : حاقت . البؤوق : الشديدة من الدواهي . يريد : أن الفرس عند بيته مربوطة لا يرسلها ترعى لكرامتها ، ولكنه يمتهنها إذا ألمت به داهية ، وهذا كناية واضحة عن الإعظام والإكرام .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أردنا أن نعبر عن إكرام صديق أو ضيف عزيز قلنا : قَدَّم له كل ما يحب ويشتهي من صنوف الطعام وقد لا يكون الضيف قُدِّم له هذا كله ، ولكن يراد تصوير الإكرام بهذه الصور المحسوسة الموجودة في كل عصر ومصر .

وقد يعترض معترضٌ على جعل هذه الأساليب من قبيل الكناية من جهة أن تقديم الطعام والشراب وتدفئة الخيل الخ يُعدُّ أمرًا طبعيا من دواعي الفطرة لدى الإنسان في تعامله مع الحيوان ، وليس فيه إكرام أو إعظام لها ، ولكني أقول إن الإكرام والإعظام – الذي هو معنى تابع لتلك التراكيب – لا يفهم منها إذا اقتصر الشعراء على أنهم يسقون ويطعمون ويدفئون خيولهم فحسب ، لكنَّ هذا لم يحدث ؛ لأن الشعراء ركزوا على أنهم يؤثرون الخيل باللبن المحض دون أولادهم ، وكذا تدفئتها دونهم الخ فهذا هو مظنة الإكرام ، وهو ملزوم هذه العبارات السابقة على ألسنة هؤلاء الشعراء .

وهذه النمط العالي من إكرام الخيل وإعظامها ينم عن حب جارف لها ، وتعلق شديد بها ولاغرو أن تكون للخيل هذه المكانة عندهم « فهي التي يستنجدون بها عند الملمات ، ويَهْرَعُون إليها عند الشدائد ، ويأخذون بها ثاراتهم ، ويشنون بها الغارات على أعدائهم ، وقد كانت لهم الحصون المنيعة ، والمعاقل الحصينة ، والدروع الواقية التي يتحصنون بها ، كما كانت مصدرًا من مصادر العزة والقوة والفخار لا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بضاهيها في ذلك مدر ولا مال » (١) .

* * *

الصورة الثانية : الكناية عن النشاط والحيوية .

ووردت في عشرين موضعا بفنون من القول شتى ، وصياغات متنوعة ، منها ما تكرر لفظا ومعنى ، ومنها ما تشابه صياغة ، ومنها ما تفرد ولم يتكرر .

١ـ قال السفاح التغلبي واصفا فرسه من مقطوعة عندما قتلَ عُمَارَةَ بن مالك الجشمي ذاكرا محاماة بني زهير عنه (٢) :

لَقَدْ حَامَتْ عَلَيَّ بَنُو زُهَيْرٍ ... بِبِيضِ الْهِنْدِ وَالأَسَلِ الْحِرَارِ

فَدَاهُ عُمَارَةَ الْجُشَمِيُّ يَسْمُو ... سُمُوَّ الْفَحْلِ فِي ضَبَعِ الْبَكَارِ

عَلَى قَبَّاءَ تَخْفِقُ أَيْطَلاهَا ... سُنُونِ الْمَتْنِ كَالْمَسَدِ الْمُغَارِ

قباء : ضامرة . تخفق أيطلاها : يضطرب خصرها . المتن : الظهر . المسد : الحبل . المغار : المفتول فتلا محكما ، شبه متن فرسه في جدله أو نعومته بهذا الحبل .

وقوله : " تَخْفِقُ أَيْطَلاهَا " كناية على النشاط والحيوية ؛ لأن اضطراب الخصر يستلزم عقلا وعرفا ومشاهدة نشاط هذه الفرس

---

(١) انظر ديوان الخيل في الجاهلية جمع وشرح وتحقيق د/ عبد الله سرحان ١٧ بتصرف .

(٢) الأنوار ومحاسن الأشعار ١١٩ ، وديوان الخيل ٤١٥/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحيويتها ، وهذا ما يرنو إليه الشاعر من ذكر هذه العبارة ؛ لأن المعنى الحقيقي ليس وراءه مغزى في مقام مدحه لفرسه بل المراد معنى المعنى ؛ فهو الذي يتلاءم مع مقام المدح وسياق الأبيات .

وآثر الشاعر هذه الطريقة لأنها أبلغ ، وفيها أيضا دليل على النشاط من طريق لا شك فيه ، فإن الخصر المهتز الخافق لهو أمارة ساطعة ، وآية بينة على الحيوية والنشاط في الإنسان والحيوان .

وهذه الكناية لم تتفرد بل تكررت بنصها على لسان النعمان بن زرعة التغلبي من قصيدة نظمها يوم الجفار وكان لقومه تغلب على بني تميم قال [1] :

بِأَسْمَرَ مَا يَزَالُ لَهُ قَنِيصٌ عَلَى قَبَّاءَ تَخْفِقُ أَيْطَلَاهَا

٢ــ وقال الأعشى يصف الخيل من قصيدة فخر فيها بانتصار قومه يوم ذي قار [2] :

أَبَتْ أَعْنَاقُهُمْ عِزًّا فَمَا يُعْطُونَ مَنْ غَشَّا

عَلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ عَوَابِسَ تَعْلُكُ اللُّجُمَا

تعلك : تمضغ . وجملة " تَعْلُكُ اللُّجُمَا " كناية عن الفورة والمرح والنشاط ؛ لأن علك الخيل اللجم يستلزم أنها دائبة الحركة لا تثبت في مكانها ، ولا تقف هامدة في مُراحها بل هي متوفزة متوثبة بخلاف الخيل

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ٨٧ ، وديوان الخيل ٨٣٣/٢ .

(٢) ديوان الأعشى ، دار صادر ١٩٤ ، وديوان الخيل ٧٤/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاملة البليدة فإنك تراها كسولة لا تتحرك ولا تقدر على الصولان والجولان ، وهذا المعنى الكنائي هو الذي يتناسب مع مقام الفخر بقومه وانتصاراتهم ، ولا يعقل والحال هذه أن يقول : إن خيلنا كريهات المنظر تمضغ اللجم ، وإلا كان قدحا لا مدحا بل يريد أنها تجمع صفات العتق فهي جرد أي : قصيرة الشعر وهو من علامات العتق ، وهي مسومة في الحروب أي : معلمة بعلامة تعرف بها من خيول غيرنا ، وهي أيضا عوابس كريهات المنظر من أثر الغبار المثار ومن جراء الجهد الخارق الذي بذلته في ميدان المعركة ، وعلى الرغم من هذا كله تراها كثيرة الحركة نشيطة لا تكسل ولا تتواني ، فهذا هو الذي يليق بمقام الفخر ، ومن ثم لا يصح أن يحمل الكلام على حقيقته ، وإن كان المعنى الحقيقي يمكن إرادته .

وآثر الشاعر هذه الطريقة على الحقيقة ؛ لأن فيها دلالة قوية على صحة دعواه وفيها أيضا تصوير لهذا المعنى العقلي " النشاط والحيوية " بصورة حسية قوية مما يرسخ المعنى المراد في الذهن ، وهذه الصورة لم تتفرد في مبناها كسابقتها بل جاءت بعينها على لسان النابغة الذبياني في قوله [1] :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَخَيْلٌ تَعْلُكُ اللُّجُمَا

---

(١) الكامل للمبرد ٦٧/٣ ، والبيت ليس في ديوانه تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجاءت أيضا على لسان الأفــوه الأودي مــن قــصيدة فخرية بقوله[1]:

وَخَيْــلٍ عَالِكَــاتِ اللُّجْــمِ فِينَــا كَــأَنَّ كُمَاتَهــا أُسْــدُ الــضَّرِيبِ[2]

وقد تميزت الأخيرة عن سابقتيها في التعبير باسم الفاعل "عَالِكَات" على حد قوله تعالى : ﴿ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ﴾ [النور مــن/٤١] ، وقد زادها هذا ثورة وعنفوانا ، وقوة ونشاطا ، ومن ثم قال فينا وكأن هذا طبعها وديدنها .

كما جاءت بصياغة قريبة على لسان بشر بن أبــي خــازم فــي قوله[3] :

وَجَــــرْدَاءَ شَــــقَّاءَ خَيْفَانَــــةٍ كَظِــلِّ الْعُقَــابِ تَلُــوكُ اللِّجَامَــا[4]

فقوله : " تَلُوكُ اللِّجَامَا " كناية عن النشاط ؛ لأن لوك الخيل اللجام يستلزم نشاطها ومرحها وحيويتها على غرار ما قدمنا .

---

(١) ديوان الأفوه الأودي ، دار صادر ٦٠ ، وديوان الخيل ١/ ٨٢ .

(٢) المعنى : كانت خيلنا في المعركة تعلك لجمها لنشاطها ، وفرسانها المدججون بالسلاح أشبه بالآساد الضارية .

(٣) ديوان بشر بن أبي خازم ١٣٤ ، وديوان الخيل ١٦٤/١ .

(٤) تلوك : تعلك . كظل العقاب : يريد أن الفرس تمر مرا سريعا كما يمر ظل العقاب ، يشبه فرسه بجرادة في الخفة ، وبظل العقاب في السرعة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجاءت بصياغة أخرى قريبة على لسان الحطيئة في قوله (١) :

صَلِيبُ الْحَجَاجِ شَدِيدُ اللَّجَا ... جِ يَجْذِبُ بَعْدَ الْحَمِيمِ اللِّجَامَا (٢)

فقوله : " يَجْذِبُ بَعدَ الحَمِيمِ اللِّجَامَا " كناية عن النشاط والمرح والحيوية ، والقيد في قوله : " بَعْدَ الْحَمِيمِ " زاد الكناية قوة وجمالا ؛ حيث جعل هذا الحصان يفعل ما يفعله من النشاط والحيوية بعد أن عرق وبذل مجهودًا كبيرًا، فما بالك به لو كان مستريحا ؟! فهي صورة قوية برع فيها الشاعر بسبب هذا القيد اللطيف ، والذي جعل الجواد يتسم بهذا كله أنه كان صليب الحجاج شديد اللجاج ، فهل رأيت فرسا بمثل هذه القوة قط ؟! إنه الشعر الذي يضفي على الأشياء صورا خيالية أسطورية.

٣ـ وقال قُرَّةُ بنُ قَيْسٍ بن عَاصِمٍ المنقري يصف الخيل من قصيدة نظمها في الثناء على أبيه لهزيمته قبيلة بكر يوم النِّبَاج وثُيَيْل (٣) :

أنَا ابْنُ الَّذِي شَقَّ الْمَزَادَ وَقَدْ رَأَى ... بِثُيَيْلَ أَحْيَاءَ اللِّهَازِمِ حُضَّرَا

وَسَبَّحَهُمْ بِالْجَيْشِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ ... فَلَمْ يَجِدُوا إلا الأَسِنَّةَ مَصْدَرَا

---

(١) ديوان الحطيئة ٢٣١ ، وديوان الخيل ١/ ٢٤٠ .

(٢) الحجاج : العظم النابت عليه الحاجب . اللجاج : مصدر لج في الأمر تمادى فيه.

(٣) انظر العقد الفريد ٥/ ١٨٧ ، وديوان شعر الأيام ٢٢٠ ، وديوان الخيل ٢/ ٧٠٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عَلَى الْجُرْدِ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ عَوَابِسًا إِذَا الْمَاءُ مِنْ أَعْطَافِهِنَّ تَحَدَّرَا (١)

فقوله : " يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ " كناية عن النشاط والحيوية ؛ وهذا من لوازم مضغها حديدة اللجام التي في أفواهها ، والشاعر أبدع هنا حين قيد ذلك بقوله " إِذَا الْمَاءُ مِنْ أَعْطَافِهِنَّ تَحَدَّرَا " أي هن على تلك الصفة بعد سيلان العرق وتحدره منهن فكيف بهن قبل أن يعرقن؟! وهذه الكناية لم تتفرد بل تكررت بنصها في قول عمرو بن شأس (٢) :

وَإِنَّا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَغْرٍ وَلَوْ لَمْ تَلْقَهُ إِلا هَشِيمَا

تَرَى فِيهَا الْجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ مَعَ الأَبْطَالِ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَا (٣)

ولكنَّ كنايته خلت من القيد الآنف الذكر لدى قرة فكانت الأولى أبرع وأروع .

وقريب منها جاء لسان خداش بن زهير يصف الخيل في قوله (٤):

وَجُرْدًا فِي الأَعِنَّةِ مُصْغِيَاتٍ حِدَادَ الطَّرْفِ يَعْلُكْنَ الْحَدِيدَا

وقريب منها أيضا جاء على لسان الخرنق بنت بدر تهجو قاتل

---

(١) الماء : العرق . أعطافهن : جمع عطف وهو من لدن الرأس إلى الورك . تحدر : سال .

(٢) شعر عمرو بن شاس الأسدي ٥٣ ، وديوان الخيل ٦٠٣/٢ .

(٣) فيها : أي بالثغور . الشكيم : جمع الشكيمة ، وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس .

(٤) شعر خداش بن زهير العامري ٤٣ ، وديوان الخيل ٢٥٤/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

زوجها قائلة (١):

أَبَالْخِزْيَاتِ أَخَيْتَ الْمُلُوكَا ... أَلَا تَكْتَفُّكَ أُمُّكَ عَبْدَ عَمْرٍو

عَلَى جَرْدَاءَ مِسْحَلُهَا عَلُوكَا (٢) ... الأَسِنَّانِ مَا عَمْرٌو مُشِيحًا

٤ـ وقال قَتَادَةُ بنُ مَسْلَمَةَ يصف الخيل من قصيدة عَرَضَ فيها لشجاعته (٣)

أَحْمَى وَهُنَّ هَوَازِمٌ وَهَزِيمُ ... لَمْ أَلْقَ قَبْلَهُمُ فَوَارِسَ مِثْلَهُمْ

وَالْخَيْلُ فِي نَقْعِ الْعَجَاجِ أُزُومُ ... لَمَّا الْتَقَى الصَّفَّانِ واخْتَلَفَ الْقَنَا

العجاج : ما تطاير من الغبار. الأزم : الإمساك والعض« أزم الفرس على فأس اللجام : عض عليه وأمسكه » (٤) ، وقوله : " وَالْخَيْلُ فِي نَقْعِ الْعَجَاجِ أُزُومُ " كناية عن الحمية والنشاط في ميدان المعركة ؛ لأن الخيل التي تعض على فأس اللجام يلزم من ذلك حيويتها ونشاطها، ولكن يلاحظ أن الكناية في هذا البيت فيها لمحة مغايرة لما قبلها حيث وصفها هنا بالحيوية والنشاط ، وهي في قلب المعركة بدليل قوله : " لَمَّا الْتَقَى

---

(١) ديوان الخرنق بنت بدر ٦٠ ، وديوان الخيل ٢٦٥/١ .

(٢) المشيح : الجاد . والمسحل : الحديدة المعترضة من اللجام في فم الفرس ، وهي الشكيم .

(٣) الحماسة لأبي تمام ١/ ٣٦٨ ، وديوان بني بكر ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، وديوان الخيل ٦٩٧/٢ .

(٤) أساس البلاغة " أ.ز.م " ٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصفَّانِ " وكأن جهدها لا يزال وافرا لم يتأثر ، ولم تذكر تلك اللمحة فيما مضى .

ومن ثَمَّ فقد يَرُدُّ هذا على ما ذهب إليه الآمدي من أن الخيل التي تعلك اللجم لا تكون إلا واقفة حيث قال في ثنايا نقده لأبي تمام : « ومن أخطائه (أي أبو تمام) :

وَاكْتَسَتْ ضُمَّرُ الْجِيادِ الْمَذَاكي ... مِنْ لِبَاسِ الْهَيْجَا دَمًا وَحَرِيمَا

في مَكَرٍّ تَلُوكُهَا الْحَرْبُ فِيهِ ... وَهْيَ مُقَوَّرَةٌ تَلُوكُ الشَّكِيمَا

وهذا معنى قبيح جدًا : أن جعل الحرب تلوك الخيل ، من أجل قوله : " تَلُوكُ الشَّكِيمَا " و" تَلُوكُ الشَّكِيمَا " أيضا ههنا خطأ ؛ لأن الخيل لا تلوك الشكيم في المكر وحومة الحرب ، وإنما تفعل ذلك واقفة لا مكر لها . فإن قيل : إنما أراد أن الحرب تلوكها كما تلوك هي الشكيم . قيل : هذا تشبيه ، وليس في لفظ البيت عليه دليل ، وألفاظ التشبيه معروفة ، وإنما طرح أبا تمام في هذا قلةُ خَبَرِه بأمر الخيل ...» (١) .

ولكنَّ الغالب هو ما ذهب إليه الآمدي يؤكده قول النابغة :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ ... تَحْتَ الْعَجَاجِ وَأُخْرَى تَعْلُكُ اللُّجُمَا

« فالصيام ههنا القيام : أي : خيل واقفة مستغنى عنها لكثرة خيلهم فهي واقفة ، وخيل تحت العجاج في الحرب ، وخيل تعلك اللجما قد

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي ١/٢٤٣ ، ٣/٣٤٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أسرجت وألجمت ، وأعدت للحرب » [1] وقريب من قول قتادة السابق جاء على لسان طرفة بن العبد في قوله [2]:

وَفُحُولٍ هَيْكَلاتٍ وُقُحٍ أَعْوَجِيَّاتٍ عَلَى الشَّأْوِ أُزُمْ [3]

٥ـ وقال سَاعِدَةُ بنُ جُؤَيَّةَ يصف الحصان من قصيدة فخرية جاهلية [4]:

يَهْتَزُّ فِي طَرَفِ الْعِنَانِ كَأَنَّهُ جِذْعٌ إِذَا فَرَعَ النَّخِيلَ مُشَذَّبُ

فرع النخيل : طال وسَمُقَ . مشذب : أزيل ما عليه من قشور فبدت ملاسته ونعومته ، وقوله : " يَهْتَزُّ فِي طَرَفِ الْعِنَانِ " كناية عن نشاطه وحدته وحيويته .

ولم يكتف الشاعر بذلك بل أتي بتشبيه دقيق يقرب هذا المعنى للعيان فشبهه في نشاطه الدائب وحركته المستمرة بجذع ناعم أملس يتمايل من حركة الريح والهواء ، فزاد بذلك الكناية وضوحا ، وقررها في النفوس تقريرا ، وهي صورة وحيدة فريدة في مبناها لم تتكرر في ديوان

---

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي ٢٤٣/١ .

(٢) ديوان طرفة ٩١ ، وديوان الخيل ٤٨١/٢ .

(٣) فحول : خيول فحول ذكور كريمة . وقح : صلاب الحوافر. أعوجيات : منسوبة إلى أعوج فحل تنسب إليه الخيل العتاق . الشأو : الغاية . أزُم ، الواحد أزوم : الذي يعض على اللجام لنشاطه .

(٤) ديوان الهذليين ١٨٦/١ ، وديوان الخيل ٤٠١/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخيل :

٦ــ وقال عامر بن الطفيل من مقطوعة يثني على نفسه وفرسه(١)

فَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِي سَبُوحٌ طِمِرَّةٌ تَحُكُّ بِخَدَّيْهَا الْعِنَانَ وَتَمْزَعُ :

يقول : لو شئت الفرار لنجتني فرس سبوح وثابة ، وقوله : " تَحُكُّ بِخَدَّيْهَا الْعِنَانَ " كناية عن النشاط والحيوية ؛ لأن حك الفرس العنان بخديها يستلزم هذا المعنى الكنائي، ناهيك عن أنه لا يتعلق بذكر المعنى الحقيقي مغزى ، فتحتم أن يكون المعنى الكنائي هو المقصود ؛ لأنه الذي يتلاءم مع مدحه لفرسه ، وإن كان المعنى الحقيقي يمكن أن يراد كذلك ، وهي صورة فريدة في مبناها كسابقتها .

٧ــ وقال وَدَّاكُ بنُ سِنَان يصف الخيل من مقطوعة يوم قَوٍّ وكان لقومه على فزارة (٢):

وَأَفْلَتَنَا عُيَيْنَةُ وَهْوَ كَابٍ عَلَى جَرْدَاءَ تَطْفَى فِي الْعِنَانِ

عيينة : هو عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري . كاب : شديد السواد . وجملة " تَطْغَى فِي الْعِنَانِ " كناية عن الحدة والشدة والنشاط ، وقد زادَ الكنايَة جمالا الاستعارة التبعية في قوله : " تَطْغَى " وقد عرضنا

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٨٢ ، وديوان الخيل ٥١٤/٢ .

(٢) شعر بني تميم ٣٨٨ ، وديوان الخيل ٨٤٦/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بما مفصولا في بحث " بلاغة الاستعارة في ديوان الخيل " (١) ، وهي استعارة قريبة في ميدانها مما سابقتيها ، ويلاحظ أن الضان – فيما سبق – مثل قاسما مشتركا اتكأ عليه الشعراء في إبراز الكنايات مع اختلاف فيما يشبه إليه في كل صورة كما يبدو بوضوح .

ب – وقال امرؤ القيس يصف حصان الصيد من قصيدة عارضه فيها علقمة (٢) :

يَخُضُّ فِي الآرِيِّ حَتَّى كَأَنَّمَا بِهِ عُرَّةٌ مِنْ طَائِفٍ غَيْرِ مُعْقِبِ

يخضّ : يشد المضغ ، وأصل الخضد : القطع. الآري : موضع علف الخيل المس من الشيطان . غير معقب : ملازم له ليس يأخذه مرة ويدعه أخرى ، فقوله : " يَخُضُّ فِي الآرِيِّ " الخ كناية عن النشاط والحيوية ؛ لأن الجواد إذا فعل هذا في مربضه ومكان علفه فهذا يستلزم نشاطه وحيويته ، وكأنه لا يطيق نفسه بل يجاذبها المرح والنشاط ، وهذا لا يتأتى إلا من الخيل العتيقة .

وقد كسا الشاعرُ الأسلوبَ الكنائي قوةً وروعة ، حين شبه حالة جواده تلك في الحركة الدائبة والتوثب والنشاط بمن أصابه طائف من الجن فزاد الكناية قوة وجمالا وتأكيدًا ، ودل على أنه لا يقصد المعنى الظاهر المباشر – الذي لا يمتنع إرادته هنا – ولكنه يهدف لإرادة المعنى

---

(١) بلاغة الاستعارة في ديوان الخيل ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) ديوان امرئ القيس تحقيق أبو الفضل ٤٩ ، وديوان الخيل ٩٣/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكنائي الذي أرانا إياه بحذق وألمعية ، وهكذا تتكاثف الصور الخيالية عند الجاهليين فنراهم يضمون الاستعارة مع الكناية كما سبق ، أو التشبيه كما هنا ليزيدوها مبالغة وتأثيرا ، وهي صورة فريدة وحيدة في مبناها .

٩ ــ وقال امرؤ القيس من قصيدة يصف حصان الصيد [١] :

وَسِنٍّ كَسُنَّيْقِ سَنَاءً وَسُنَّمَا ذَعَرْتُ بِمِدْلاجِ الْهَجِيرِ نَهُوضِ

السن : الثور الوحشي . السنيق : الجبل أو أكمة معروفة ، أو الصخرة الصلبة السناء : الارتفاع والسنا مثله . المدلاج : الذي يكثر السير في آخر الليل . بمدلاج الهجير بفرس يسير في الهجير وينهض فيه لنشاطه ، وقوله : " بِمِدْلاجِ الْهَجِيرِ نَهُوضِ " كناية عن النشاط والحيوية ؛ لأن وقت الهجير هو الوقت الذي تسكن فيه الدواب وتستقر فيه الوحوش ، فإذا كان الجواد على تلك الصفة في هذا الوقت فهذا يستلزم نشاطه وحيويته ، وهي كناية وحيدة فريدة لم تتكرر ، وهذا ما يميز كنايات امرئ القيس .

١٠ــ وقال أبو دؤاد الإيادي من قصيدة يصف حصان الصيد [٢] :

إذا قِيدَ قَحَّمَ مَنْ قَادَهُ وَوَلَّتْ عَلَايِيُّهُ وَاجْلَعَبْ

إذا قيد قحم من قاده : يقول : يتقدم من يقوده فيقحمه ويتعبه .

---

(١) ديوان امرئ القيس تحقيق أبو الفضل ٧٦ ، وديوان الخيل ١٠٩/١ .

(٢) ديوان أبي دؤاد الإيادي ٢٩٢ ، وديوان الخيل ٣١٣/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطباوان : عصبتان في العنق ، والعلباء يمتد حتى يكاد يتصل بالرأس ثم يولي ناحية العنق . اجلعب : يعني أن هذا الفرس مضى في سيره وامتد مع الأرض ، فقوله : " إذا قيدَ قَحَّمَ مَنْ قَادَهُ " كناية عن نشاطه وقوته ؛ لأن الفرس الذي يقحم صاحبه ، ويتعبه إذا قاده يستلزم أن يكون قويا مرحا نشيطا ، وإلا فإن الفرس الخامل المستكين لا يقحم صاحبه ولا يتعبه ، والصورة وحيدة في مبناها تفرد بها أبو دؤاد عن أقرانه .

١١ـ وقال فَرْوَةُ بنُ مُسَيْكٍ من مقطوعة يذكر بعض غزواتهم [١]:

فَآبَتْ خَيْلُنَا قُطُفًا وَفِيهِمْ ... نَوَافِذُ مِنْ أَسِنَّتِنَا وَفِينَا

آبت خيلنا : رجعت. قطف : جمع قَطُوف كرَسُل ورسول ، وقطفت الدابة : أعجلت في سيرها مع تقارب الخطو ، فقوله : " فَآبَتْ خَيْلُنَا قُطُفًا " كناية عن قوتها ونشاطها وحيويتها بعد عودتها من الحرب ؛ لأن الخيل إذا عادت من المعركة وقد أعجلت الخطى في سيرها فهذا يستلزم نشاطها وحيويتها ؛ إذ الوضع الطبعي أن تعود الخيول من الحرب مجهدة منهكة شأن كل كائن حي عند بذله الجهد والعرق في أي شأن كان ، فإذا وصفها الشاعر بهذا الوصف في مقام المدح فهو دليل ناصع وحجة قوية على أن المعنى الأصلي غير مراد بل المراد ما يَرْدَفُه في الوجود ، وهو النشاط والقوة والحيوية ، وهي كناية رائعة تكشف بدقة عن قوة ونشاط هذه

(١) الوحشيات لأبي تمام ٩٤ ، وشعر قبيلة مذحج ٢/ ٧٩٧ ، وديوان الخيل ٦٨٨/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخيول ، ولها أثر قوي ، وفضل واضح على الحقيقة لمن يقارن ، ولم كناية فريدة وحيدة لم تتكرر .

ويلاحظ فيها أن المكني به المذكور كان حسيا ، والمكنى عن المستور كان معنويا ، شأن المواضع السابقة كلها ، وفي هذا تصوير للمعقول " النشاط والحيوية " بصورة حسية لا يتطرق إليها شك ، وهذا أرسخ في الذهن ، وآكد في إثبات المعنى .

كما يلاحظ أن هذه الصورة الكنائية كثيرة الورود في ديوان الخيل ، وهذا يدل على أن الكناية عن النشاط والحيوية من الصفات الأساسية التي يعشقها الشعراء في خيولهم ، ويركزون على تصويرها بعبارات كنائية شتى كصورة الإكرام السابقة .

الصورة الثالثة : الكناية عن سلاسة الخيل ومطاوعتها ، ووردت ثماني مرات .

١ــ قالت تَمِيمَةُ بِنْتُ أُهْبَان الْعَبْسِيَّةِ من مقطوعة تصف " الورد " جواد عامر بن الطفيل الذي فر عليه يوم الرقم [١] :

وَنَجَّاكَ خَوَّارُ الْعِنَانِ كَأَنَّهُ ... إِذَا الْتَقَتْ الْخَيْلانِ أَحْقَبُ قَارِبُ

الأحقب : حمار الوحش . القارب : الطالب للماء ليلا . شبه جواده بهذا الحمار في قوته وسرعته الشديدة « وفرس خَوَّارُ العِنَانِ: سَهْلُ

(١) ديوان الحماسة للبحتري ٧٠ ، وشعر بني عبس ٨١/٢ ، وديوان الخيل ١٧٥/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعطف ليّنُه كثير الجَرْي»[1].

تريد الشاعرةُ إثبات سلاسة جواد عامر فعبرت عن هذا المعنى بغير اللفظ الموضوع له في اللغة حيث قالت : " خَوَّارُ الْعِنَانِ "، ولا شك أن خوار العنان لم يوضع في اللغة لهذا المعنى بل هو كناية عن حسن انقياد الجواد وسلاسته وطواعيته ؛ لأن الشاعرة تثني على فرس عامر بن الطفيل الذي نجاه من القتل فهي تقول : لولا أنه فرس مرتاض طيع سهل الانقياد لصاحبه لما نجا عليه ، وهي بذلك تُرجع الفضل في نجاة عامرٍ لفرسه هو ، وليس لشخص عامر فهو ذم لعامر ، ومدح لجواده كما ترى .

والذي يؤكد على صحة ما ذهبنا إليه السياق السابق في قول الشاعرة:

لَوْلا نَجَاءُ الْوَرْدِ لا شَيءَ غَيْرُهُ ... وَأَمْرُ الإِلَهِ لَيْسَ للهِ غَالِبُ[2]

إِذَنْ لَسَكَنْتَ الْعَامَرَ نَفْساً وَمَنْعِجًا ... بِلادَ الأَعَادِي أَوْ بَكَتْكَ الْحَبَائِبُ

فقد نسبت الشاعرة الفضل لنجاة الشاعر إلى ربه وجواده ، وهكذا تعاور سياق الأبيات مع الكناية في توضيح أثرها وبيان شأوها وقدرها ، كما أبانت الكناية إبانة تامة عن مراد الشاعرة ، وهي كناية لم تتفرد بل

---

(١) لسان العرب " خ.و.ر " .

(٢) نجاء الورد : أي نجاتك على الورد ، فهو صاحب الفضل في ذلك لا شجاعة عامر .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تكررت بحذافيرها على لسان عمرو بن معد يكرب في موضعين : الأول في قوله [١] :

وَنَجَّاكَ خَوَّارُ العِنَانِ مُقَلَّصٌ ... طَوِيلُ عِمَادِ الصَّلْبِ مِنْ خَيْلِ الشَّهْرِ

والثاني في قوله [٢] :

فَكَانَ إِجَابَتِي إِيَّاهُ أَنِّي ... عَطَفْتُ عَلَيْهِ خَوَّارَ العِنَانِ

كما جاءت أيضا بصياغة متقاربة على لسان غَنْم بن مالك في قوله [٣] :

ولَمَّا رَأَوْنِي فِي الْكَتِيبَةِ مُعْلِمًا ... تَنَادَوْا وقَالُوا ذَاكَ غَنْمُ بْنُ مَالِكِ

وأَسْمُو لِعَبْدِ اللهِ والنَّقْعُ سَاطِعٌ ... عَلَى ظَهْرِ مَوَّارِ العِنَانِ مُوَاشِكِ

فقوله : " مَوَّارُ العِنَانِ " أي : جواد يتحرك العنان في يد فارسه ، ويذهب ويجئ بيسر وسهولة . مواشك : مسرع في سيره بالنسبة لغيره ، فقوله : " عَلَى ظَهْرِ مَوَّارِ العِنَانِ " كناية عن طواعية جواده وسهولة انقياده ؛ لأن العنان الذي يمور بسهولة في يد قائده يستلزم هذا المعنى ، وشبيه بذلك أيضا قول عقبة بن مكدم يصف فرسه [٤] :

---

(١) شعر عمرو بن معد يكرب ، جمعه وحققه ، مطاع الطرابيشي ٦٩ ، وديوان الخيل ٦١٩/٢ .

(٢) شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي ١٧٧ ، وديوان الخيل ٦٢٨/٢ .

(٣) الأنوار ومحاسن الأشعار ١٢٠ ، وديوان الخيل ٦٨٦/٢ .

(٤) الخيل لأبي عبيدة ٣٠١ ، وديوان الخيل ٩١٩/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقوله : " هَوْنَةٌ فِي الْعِنَانِ " كناية واضحة عن طواعية الفرس وسهولة انقيادها لفارسها ؛ لأن المعنى الحقيقي لهذه العبارة ليس بذي بال في مجال المدح فَبَقِيَ أن المقصود هو ما وراءه من لمحات خفية ودقائق معنوية ، وهي الكناية عما ذكرناه ، وهكذا وردت الكناية عن هذا المعنى بأكثر من هيئة لفظية ، ولكل كناية لقطة دقيقة وطعم شهي ، ومذاق خاص تتميز به عن أخواتها لمن ينعم النظر مليا .

٢ـ وقال الأعشى يصف الحصان من قصيدة يمدح فيها ربيعة بن حبوة [١] :

سَلِسٍ مُقَلَّدُهُ أَسِيـ ـلٍ خَدُّهُ مَرِعٍ جَنَابُهْ

سلس : سهل الانقياد . مقلده : عنقه والمراد موضع القلادة منه. خد أسيل : لين أملس طويل ، وقوله : "سَلِسٍ مُقَلَّدُهُ " كناية عن طواعيته وحسن انقياده ؛ لأن المعنى الحقيقي ، وهو تمايل عنق جواده عند جذبه بلجامه أو شده بعنانه لا طائل من ورائه في مقام المدح إلا بيان أن هذا الحصان مطواع سهل الانقياد ، مدرب على الكر والفر ، لا يعصى فارسه ولا يستبد برأيه ، وكأنه ينفي عنه أن يكون مصدر هم وغم له ؛ لأن الدابة التي لا تنصاع لصاحبها تكون مصدر هم وغم ونكد ، وهذه الكناية لم تتفرد بل تكررت بهيئة تركيبية أخرى على لسان دريد بن الصمة في

(١) ديوان الأعشى ، دار صادر ٢٠ ، وديوان الخيل ٦١/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قوله [١] :

أَعَاذِلُ عُدَّتِي بَدَنِي وَرُمْحِي ... وَكُلُّ مُقَلَّصٍ سَلِسِ القِيَادِ

فقوله : " سَلِسِ القِيَادِ " كناية عن المطاوعة وحسن الانقياد ، وهو ثناء على الجواد بأنه مدرب يطاوع قائده فيما يريده ، كما وردت هذه الكناية بنصها في قول الحارث بن عباد يصف الخيل من قصيدة مفتخرا بوقائع قومه [٢] :

سَلِسَاتِ القِيَادِ كُمْتًا وَدُهْمًا ... وَوِرَادًا تَرَى بِهَا تَحْجِيلا [٣]

الصورة الرابعة : الكناية عن صبر الخيل وقوة تحملها ، ووردت ست مرات .

١ــ قال سحيم عبد بني الحسحاس يصف الخيل من قصيدة يمدح بني أسد [٤]:

إِذَا فَزِعُوا طَارُوا إِلَى كُلِّ نَهْدَةٍ ... وَأَجْرَدَ نَهْدٍ مَا تَجِفُّ لُبُودُهَا

---

(١) ديوان دريد ١٧٦ ، وديوان الخيل ٣٠١/١ .

(٢) ديوان بني بكر في الجاهلية ٥٢٨، وشعراء النصرانية ٣ /٢٨٠ ، وديوان الخيل ٢١٦/١.

(٣) كمت : لونها بين الأسود والأحمر . دهم : سوداء . التحجيل : البياض في قوائم الفرس.

(٤) ديوان سُحيم عبد بني الحسحاس تحقيق /عبد العزيز الميمني ٥٠ ، وديوان الخيل٤٠٧/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طاروا : أسرعوا ، وهي استعارة تبعية مضى الحديث عنها في بحث الاستعارة نهدة : فرس مشرفة ضخمة ، وقوله : " مَا تَجِفُّ لُبُودُهَا " كناية عن قوة صبر الخيل وشدة تحملها للمكاره ، فالشاعر بدل أن يقول : إن أفراس ممدوحيه شديدة قوية صبورة ترك هذا صراحة ، وعدل عنه إلى قوله : " مَا تَجِفُّ لُبُودُهَا " حيث ينتقل الذهن من عدم جفاف لبود الخيل إلى كثرة الغزوات ومتابعة الغارات ، ثم ينتقل من ذلك إلى شدة صبرها وطول نفسها وقوة تحملها ؛ فقدم لنا المعنى مصحوبا بدليله ؛ مشفوعا ببرهانه وهي كناية بعيدة أدركت بأكثر من واسطة .

ومن يتأمل يجد أن المعنى الأصلي لا يتحقق فيها ؛ لأنه يستحيل عقلا وعادة ، وهذا ليس عائدًا لقرينة الكناية بل لخصوصية في المادة ذاتها ، وهي كناية لم تتفرد بل وردت بعينها منسوبة للحارث بن أبي شمر الغساني في قوله [1] :

مَا إِنْ تَجِفُّ لُبُودُهَا مِنْ غَارَةٍ ... حَتَّى تُعَاوِدَ لِلْحُرُوبِ غَوَائِرَا

٢ــ وقال طرفة بن العبد من مقطوعة يخاطب عمرو بن هند [2] :

فَمَا أَوْرَدَانِي الْمَوْتَ عَمْدًا وَجَرَّدَا ... عَلَى الْغَدْرِ خَيْلاً مَا تَمَلُّ مِنَ الرَّكْضِ

يريد الشاعر أن يقول : إن خيله شديدة التحمل قوية الصبر طويلة النَّفَس في العدو فترك هذا المعنى المباشر ، وعبر عنه بقوله : " خَيْلاً مَا

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء للأصفهاني ١٤٨/٣ .

(٢) ديوان طرفة ٦٧ ، وديوان الخيل ٤٧٩/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَمَلُّ مِنَ الرَّكْضِ " كناية عن ذلك كله ، وقد آثر التعبير عن هذا المعنى بتلك الطريقة ليقدم لنا المعنى مقرونا بدليله ممزوجا بما يقطع بصحته وعدم احتماليته ؛ لأن الخيل التي لا تمل من الركض معناه أنها تحبه ، ولا تستطيع مفارقته والبعد عنه بخلاف الذي يمل من شيء فهو يعافه ويتركه أبدا ، أو على أقل تقدير يرجع إليه على فترات متباعدة .

وهكذا صورت الكناية حب الخيل للركض وحرصها عليه بصورة لطيفة معجبة لمست الأوتار ، وعزفت على القلوب ، وهي كناية فريدة لم تتكرر قط في الجاهلية .

٣ـ وقال ربيعة بن مقروم الضبي من قصيدة يفتخر بقومه واصفا الخيل [١] :

تُعَوِّدُ فِي الْحَرْبِ أَنْ لا بَرَاحَ ... إِذا كُلِّمَتْ لا تَشَكَّى الْكُلُومَا

لا براح : لا تبرح مكانها هربا . كُلِّمَتْ : جُرحت . لا تشكى : لا تشتكي . الكلوم : الجروح يعني أن خيله إذا أصيبت لا تشتكي فلا يهراق منها دمعة ولا تسقط من عينيها عبرة ، هذا المعنى الظاهر لا يقصد إليه الشاعر قصدا ، ولكنه يرنو إلى المعنى الثاني المتولد منه وهو صبرها وقوة تحملها ، فقوله : " لا تَشَكَّى الْكُلُومَا " كناية عن صبرها ، وقوة تحملها ؛ لأن الخيل التي تتحمل الآلام والجروح النازفة لا تذرف منها عبرة ، ولا تسمع لها همهمة أو حمحمة قطعا تكون شديدة الصبر قوية

(١) ديوان ربيعة بن مقروم ٥٦ ، والمفضليات ١٨٥ ، وديوان الخيل ٣٤٩/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التحمل ، فكانت هذه الجملة وسيلة دقيقة في إيصال المعنى لعقل وقلب السامع والقارئ ، وعدول الشاعر عن الحقيقة إلى الكناية ليقدم الدعوى مصحوبة بدليلها ، والقضية مشفوعة ببرهانها ، وهذا لا شك أبلغ في إثبات الدلالة على صبر الخيل وشدة تحملها ، يقول القزويني : « لا شك أن دعوى الشيء ببينة أبلغ في إثباته من دعواه بلا بينة » (١) .

وفيها أيضا تشخيص بارع للخيل ، وتصوير لها بصورة الإنسان الذي يتحمل ألم الجراح النازفة لا يشتكي أو يتألم ، وهذا من بديع التصوير في هذه الكناية الفريدة الوحيدة في مبناها .

٤ـ وقال عدي بن زيد يذكر جواده من بيت واحد (٢) :

لا يَرْقُبُ الْجَرْيَ فِي الْمَوَاطِنِ لِلْعَقْبِ وَلَكِنْ لِلْعِقَابِ حُضُرْ

« العقب آخر الجري، يقول: لا يُبقي من جريه شيئًا للعقب ، ولكنه يخرجه كله فإذا عاقب أحضر كما أحضر في أول دفعة أي : عقبة وابتداؤه سواء » (٣) والبيت كله كناية رائعة عن قوة حصانه، وشدة تحمله وطول صبره؛ لأن الحصان الذي يكون آخر جريه في القوة والنشاط مساويا لأول جريه لا شك يكون جوادًا صبورًا شديد التحمل .

---

(١) الإيضاح للقزويني ٣٧٧ .

(٢) ديوان عدي بن زيد ١٢٧ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٣٠/١ ، وديوان الخيل ٥٦٦/٢.

(٣) المعاني الكبير لابن قتيبة ٣٠/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والكناية كما ترى مستخلصة من التركيب بأسره فهي كناية مركبة، وهي بطبيعتها أقوى من المفردة لما فيها من إعمال للذهن حتى يلتقطها ويقف على مغزاها .

وهذه الكناية يصح أن تنطبق على أي فرس بهذه الصفات في كل عصر ومصر ، كما يصح أن تطلق على العدائين من الشباب في مضامير السباق والأولمبياد العصرية الحديثة ، وهي صورة فريدة وحيدة في مبناها .

٥ ـ وقال بشر بن أبي خازم من قصيدة مفتخرا واصفا فرسه [1]:

إِذَا خَرَجَتْ يَدَاهَا مِنْ قَبِيلٍ أُيَمِّمُهَا قَبِيلاً ذَا سِلاحِ

قبيل : جماعة أو قبيلة غزاها الشاعر . يريد أن يقول : إن تلك الفرس قوية التحمل شديدة الصبر على المكاره ، ولكنه ترك هذا المعنى المباشر ، وعبر عنه بقوله إِذَا خَرَجَتْ يَدَاهَا مِنْ قَبِيلٍ أُيَمِّمُهَا قَبِيلاً ذَا سِلاحِ كناية عن قوة التحمل ، وآثر الشاعر هذه الطريقة للتأكيد على قوة تحمل فرسه ومواصلتها للمعارك دون كلل أو ملل ، والعلاقة بين الطرفين هنا تلازمية شأن علاقات الكناية ؛ لأنه يلزم من خروجها من معركة إلى أخرى دون استراحة محارب أنها قوية شديدة صبورة قادرة على تحمل المكاره ، كما أنها كناية مركبة تحتاج إلى دقة وإنعام نظر في استخراجها، وهي أيضا كناية وحيدة فريدة في مبناها كسابقتيها .

(١) ديوان بشر بن ابي خازم ٤٧ ، وديوان الخيل ١٥٥/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصورة الخامسة : الكناية عن حسن خُلقِ الجواد ، ووردت خمس مرات.

١ـ قال بشر بن أبي خازم من قصيدة واصفا جواد الطفيل بن عامر [١] :

أنا طُفَيلٌ فَنَجَّاهُ أَخُو ثِقَةٍ ... مِنْ آلِ أَعْوَجَ يَغْدُو وَهْوَ مُشْتَرِفُ

طفيل : أبو عامر بن الطفيل . الفرس المشترف : المشرف الخلق ، من الشرف وهو العلو ، والمعنى : أن طفيلا عرف كيف ينجو بنفسه على ظهر جواده الأصيل .

وقوله : " أخو ثقة " كناية عن حسن خلق جواده ومدى وفائه له؛ لأن الأخ الثقة يكون خلوقا ودودا وفيا لصاحبه مخلصا له ، ويجوز أن تكون العبارة كناية عن الثقة في قدرة جواده وحسن تصرفه في المآزق ، وعلى كُلٍّ فهي كناية بديعة ؛ لأنها شخصت الفرس وأضفت عليه روح الإنسانية ، وجعلته في منزلة الأخ الشقيق من بني الإنسان .

ويلاحظ أن المعنى الحقيقي في هذه الكناية يستحيل حصوله ، وهذا عائد لخصوصية في هذه المادة وليس للقرينة كما تقرر قبل في أكثر من موضع .

وهذه الكناية لم تتفرد بل وردت بنصها على لسان عدي بن زيد

---

(١) ديوان بشر ١٠٢ ، وديوان الخيل ١/١٦٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في قوله [1] :

أَهْبَطْتُهُ الرَّكْبَ يَعْدُو بِي أُخُو ثِقَةٍ ... لِلنَّائِبَاتِ بِسَيْرٍ مِخْذَمِ الأَكَمِ

وعلى لسان عدي أيضا في قوله يصف حصان الصيد [2] :

أَهْبَطْتُهُ الرَّكْبَ أَحْبُوهُمْ أَخَا ثِقَةٍ ... رَحْبَ الْجَوَانِحِ صَلْتَ الْخَدِّ قَيْسَارِ

وعلى لسان علقمة بن عبدة في قوله يصف جواد الصيد [3] :

أَخَا ثِقَةٍ لا يَلْعَنُ الْحَيُّ شَخْصَهُ ... صَبُورًا عَلَى الْعِلَّاتِ غَيْرَ مُسَبَّبِ [4]

٢ــ وقال النابغة الجعدي من قصيدة يصف جواده [5] :

أَهَانَ لَهَا الطَّعَامَ فَلَمْ تُضِعْهُ ... غَدَاةَ الرَّوْعِ إِذْ أَزَمَتْ أَزَامُ

لها : يعود على الفرس المذكور قبلُ . الروع : الخوف ، والمراد به هنا الحرب أزمت : اشتدت ، ومنه الأزمة أي : الضائقة ، والأزام : اسم مطلق للأزمة معدول عن الفعل أزم ، والبيت كناية مركبة عن كريم

---

(١) الاختيارين للأخفش الأصغر ٧٤٩ ، وديوان الخيل ٥٧٣/٢ .

(٢) ديوان عدي بن زيد العبادي ٥٥ ، وديوان الخيل ٥٦٥/٢ .

(٣) ديوان علقمة بن عبدة ، شرحه / سعيد نسيب مكارم ١٦ ، وديوان الخيل ٥٨٨/٢ .

(٤) وفي قوله : " لا يَلْعَنُ الحَيُّ شَخْصَهُ " كناية أخرى عن سمو منزلته ورفعة شأنه وستاتي ، واحتواء بعض الأبيات على أكثر من كناية ظاهرةٌ ملحوظة في ديوان الخيل في الجاهلية .

(٥) ديوان النابغة الجعدي ١٥٤ ، وديوان الخيل ٨١٤/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أخلاق فرسه ووفائها وحسن ردها للجميل الذي أولاه لها فارسها ؛ لأن المكني به المذكور يلزم منه هذا المعنى الكنائي ، وأنت ترى هنا أن صياغة البيت بأكمله أسست لهذه الكناية ، فالكناية إذن مركبة من أكثر من جملة ، وقد أحوجت الفكر إلى الإمعان والتدبر في إدراكها ، وهذا من أسرارها ، ومن ثم فالكناية المركبة أدخل في الصنعة من الكناية المفردة ، وقد ألمح ابن الأثير إلى ذلك فقال : « الكناية إذا وردت على طريق اللفظ المركب كانت شديدة المناسبة واضحة الشبهية ، وإذا وردت على طريق اللفظ المفرد لم تكن بتلك الدرجة في قوة المناسبة والمشابهة ، ألا ترى إلى قولهم : " فلان نقي الثوب " وقولهم : اللمس كناية عن الجماع فإن نقاء الثوب أشد مناسبة وأوضح شبها ، لأنا إذا قلنا نقاء الثوب من الدنس كنزاهة العرض من العيوب اتضحت المشابهة ووجدت المناسبة بين الكناية والمكنى عنه شديدة الملاءمة ، وإذا قلنا اللمس كالجماع لم يكن بتلك الدرجة في قوة المشابهة » [1].

كما أن الكناية هنا أضفت على الخيل سمة من سمات الإنسانية ؛ لأن الذي يرد الجميل ولا يضيع المعروف لديه هو الإنسان العاقل المكلف الذي يحفظ لغيره صنائع المعروف ، فالكناية هنا جعلت الفرس بشرا من حيث استجابتها لما قدم لها من خير فصارت بارة وفية تنهض خير نهوض بما يرومه صاحبها ، ويطلبه قائدها .

---

(1) المثل السائر لابن الأثير ٣/٥٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلا أن الشاعر لم يوفق في عبارة " أَهَانَ لَهَا الطَّعَامَ " والأفضل أن يقول : " قدم " أو ما شابه ولعله يقصد أن الطعام كان هينا سهلا عليه حين وفره لها دون عياله ، أو أنه كان عزيزا غير متوفر فاختصه بها ، وأيا كان المقصد فهي لفظة غير مستحبة ، والكناية صورة وحيدة فريدة في هذا المضمار كما ترى .

* * *

الصورة السادسة : الكناية عن سمو مكانة الحصان ، ووردت في ثلاث مواضع .

١ــ قال امرؤ القيس يصف الجواد من القصيدة التي عارضه فيها علقمة [١] :

حَبِيبٌ إِلَى الأَصْحَابِ غَيْرُ مُلَعَّنٍ يُفَدُّونَهُ بِالأُمَّهَاتِ وَبِالأَبِ

غير ملعن : لا يلعن ؛ لأنه لم يصدر منه ما يستحق عليه اللعن فهو جواد عتيق كريم ، ومن ثم فهو حبيب إليهم يفدونه بأغلى ما لديهم " الأمهات والآباء " .

هذا هو المعنى الصريح المباشر لهذا البيت ، والشاعر لا يقصده ، ولكنه ذكره ليتوصل منه إلى معنى آخر يرمي إليه وهو الكناية عن سمو مكانة الجواد ، ورفعة منزلته في قلوب أصحابه ، والشاعر آثر هذه الطريقة في نقل المعنى المراد إلينا ؛ ليقدمه لنا مصحوبا بدليله مقرونا

(١) ديوان امرئ القيس ، دار صادر ٧١ ، وديوان الخيل ٩٥/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ببرهانه ، فرفعة شأنه وعلو قدره في نفوسهم دليله أنه " حَبِيبٌ إِلَى الأَصْحَابِ ، غَيْرُ مُلَعَّنٍ ، يُفَدُّونَهُ بِالأُمَّهَاتِ وَالآبَاءِ " ، وهذا هو مكمن الأبلغية والجمال في تلك الكناية الرائعة ، وسر مزيتها على الحقيقة المجردة ، وفيها أيضا توكيد للمعنى المراد ، فضلا عن أن المعنى الحقيقي هنا لا يمتنع وروده ، فهم بالفعل يحبونه ويفدونه ولا يلعنونه ، وهذه ميزة أخرى تجعل الأسلوب ثريا بالدلالات .

ومن يتأمل يجد أن البيت بتركيبته الأسلوبية كلها كناية عن شيء واحد تعاورت عناصر النظم المختلفة فيه على بيان الكناية ، وعلى الرغم من ذلك فهي كناية قريبة لا تحتاج إلى طول أناة في التقاطها لعدم التكلف في إيرادها ، وقد تكررت بصياغة متقاربة على لسان علقمة بن عبدة في قوله [1] :

أَخَا ثِقَةٍ لا يَلْعَنُ الْحَيُّ شَخْصَهُ صَبُورًا عَلَى الْعِلَّاتِ غَيْرَ مُسَبَّبِ

" صَبُورًا عَلَى الْعِلَّاتِ " يتحمل المكاره والمشاقَّ والأدواء ، وجملة : " لا يَلْعَنُ الْحَيُّ شَخْصَهُ " كناية عن سمو مكانة الجواد ورفعة منزلته .

وقوله : " غَيْرَ مُسَبَّبٍ " في معنى قوله : " لا يَلْعَنُ الْحَيُّ شَخْصَهُ " ، وإعادة الشاعر لهذا المعنى الكنائي بصيغة أخرى فيه زيادةُ تأكيد لسمو منزلته ، وعلو مكانته وبيان أنه يحمل كل الصفات التي تجبر الآخرين على عدم سبه أو ضربه .

---

(1) ديوان علقمة بن عبدة ١٦ ، وديوان الخيل ٥٨٨/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومعلوم أن ضرب الخيل أو سبها يدل علي تمردها وعدم انصياعها لأصحابها إما لبلادتها أو لسمنها كل ذلك نفاه الشاعران امرؤ القيس وعلقمة عن جواديهما بهاتين الكنايتين البليغتين اللتين اشتركتا في المعنى العام ، واختصت كل واحدة بمذاق خاص بها، وهذا عائد لاختلاف القريحة الشعرية لديهما حيث صبغت أسلوبهما بطبيعة نفسيهما

٢ـ وقال أُهبَانُ مُكَلِّمِ الذِّئْبِ، ويُعرف بابن عادية الأسلمي يذكر فرسه الورد[١]:

جَزَانِي الْوَرْدُ أَشْلائِي وَحَشِّي ... وَجَلَّ ثَنَاؤُه عِنْدِي وَطَابَا

دَفَعْتُ الْوَرْدَ وَهْوَ أَخِي إِذَا مَا ... رَأَيْتُ الْمَوْتَ يَقْتَرِبُ اقْتِرَابَا

جل ثناؤه: عظمت سيرته لدي لما يظهره من بطولات فائقة في الميدان ، وقوله " وَهْوَ أَخِي " كناية عن سمو منزلته ، ورفعة شأنه ؛ لأن جَعَلَه أخا يستلزم أن يكون له في نفسه منزلة رفيعة ومكانة سامية ، وهكذا أضفى الشاعر على تلك الصورة من روحه الوثابة ما يجعلنا نقف أمامه محيين مهنئين حيث أبان بأسلوب الكناية عما يعتمل في صدره ، ويجيش في نفسه تجاه جواده ، وما هذه الأخوة التي أعلنها لجواده إلا لحمايته له وذوده عنه حين اقترب منه الموت اقترابا ، ومن ثم لم يكن غريبا أن يأتي بتلك الكناية التي تبرز سمو منزلة جواده ورفعة شأنه في نفسه .

(١) أسماء خيل العرب للغندجاني ٢٥٨ ، وديوان الخيل ١٣١/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا ، ويجوز أن يكون قوله : " وَهْوَ أخِي " تشبيه بليغ محذوف الوجه والأداة يعني أنه كأخيه ابن أمه وأبيه في المحبة والمودة ، والراجح عندي أنه يحتمل هذا وذاك ولا تعارض بينهما ، وهي كناية وحيدة فريدة في مبناها .

* * *

الصورة السابعة : الكناية عن عزة نفس الخيل ، ووردت في موضعين .

١ـ قال حسان بن ثابت يصف حصان الصيد من قصيدة جاهلية [١] :

تَتَوَلَّى الغُلامُ يَقْدَعُ مُهْرًا ... تَئِقَ الْغَرْبِ مَانِعًا لِلسِّيَاطِ

القدع : الكف والإمساك . التئق : الكثير الجري . مانعا للسياط : لا يضرب لكرمه وعتقه ، فقوله : " مَانِعًا لِلسِّيَاطِ " كناية عن عزة نفسه وعتقه وكرمه ؛ إذ الخيل العتيقة الكريمة النجيبة تأبى أن يضربها صاحبها بل تأبى على نفسها أن ينظر إليها شذرا ؛ لأنها تعرف مهماتها المنوطة بها ، وتؤديها على أكمل وجوهها دون الحاجة إلى ضربها أو زجرها ؛ ولذا عابت أم جندب كما يروي النقاد على امرئ القيس ضربه وزجره فرسه في قوله [٢] :

---

(١) ديوان حسان بن ثابت تحقيق د/ سيد حنفي ١٧٠ ، وديوان الخيل ٢٢٧/١ .

(٢) ديوان امرئ القيس ٥١ ، وديوان الخيل ٩٤/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فَلِلسَّاقِ أُلْهُوبٌ وَلِلسَّوْطِ دِرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقْعُ أَهْوَجَ مِنْعَبِ (١)

والكناية هنا كناية عن صفة قريبة ؛ لأنها لا تحتاج إلى تأمل في إدراكها ؛ والمكني به المذكور يلوح منه المكني عنه بوضوح ، ومن روعتها هنا أنه يتولد منها كناية أخرى مغايرة ، وهي أنه لا يضرب من الخيل إلا من كان بليدا هجينا غير عتيق .

كما يبدو جمالها وروعتها وقوة تأثيرها أيضا في تصوير المعنى الذهني المجرد "عزة نفس الخيل " بصورة مرئية تملأ نفوسنا طربا وحبورا ، وتُحدث فيها هزة وسرورا حين نعلم أن هذا الجواد يتأبى أن يُضرب لأنه لا يصدر منه إلا كل الصفات الحسنة التي تمنع صاحبه عن إيذائه ، وفي هذا تفخيم للجواد وتعظيم له بدا جليا من هذا الأسلوب الكنائي ، وهي صورة فريدة وحيدة في مبناها ، وقد وردت بصياغة مختلفة على لسان عدي بن زيد في قوله يصف فرسا (٢) :

نِضْفُهُ جَوْزُهُ نَصِيرٌ شَوَاهُ مُكْرَمٌ عَنْ مَهَامِزِ الرُّوَّاضِ

جوزه : وسطه . شواه : قوائمه . المهامز : جمع مهمز ، وهي عصا في رأسها حديدة تكون مع الرائض يهمز بها الدابة ، وقوله : " مُكْرَمٌ عَنْ مَهَامِزِ الرُّوَّاضِ " كناية عن عزة نفسه وعتقه ؛ لأن الجواد

(١) الألهوب : شدة جري الفرس حتى يثير الغبار ، وكذلك الدرة ، المنعب : الذي يستعين بعنقه ويمده في الجري .

(٢) ديوان عدي بن زيد ١٣٧ ، وديوان الخيل ٥٧٦/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي يربأ بنفسه عن مهامز رواضه ، ويستنكف بطبيعته ضرب فارسه له – لا شك – يكون عزيز النفس كريما نجيبا موضع عزة وزهو وفخار ، وهذا يذكرني بالقول المأثور العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة ، فهذا الجواد تكفيه الكلمة بله الإشارة كي يشتد في سرعته، ويعلو في عدوه ؛ وقد تفوق عدي بهذه الصياغة الموحية على بيت حسان السابق ، وكنايته أقوى وأشد تأثيرا من كناية حسان لمن يتأمل ، وهي صورة وحيدة فريدة في مبناها لم تتكرر .

* * *

الصورة الثامنة : الكناية عن شجاعة الخيل ، ووردت في موضعين .

١ــ قال امرؤ القيس من قصيدة يصف خيل الحرب [١] :

وَخَيْلٍ كَأَسْرَابِ الْقَطَا قَدْ وَزَعْتُهَا ... بِذِي مَيْعَةٍ ثَبْتِ الْفُؤَادِ إِذَا جَرَى

وزعتها : رددتها . ميعة : نشاط وحيوية . " ثَبْت الْفُؤَادِ " ثابت الجنان غير هياب ولا جبان ، وهذه العبارة كناية عن شجاعة جواده ؛ لأن الفؤاد الثبت يستلزم أن يكون صاحبه ركينا شديد الجسارة قوي الإقدام في المدلهمات والمعارك ، وهو تصوير جيد وبليغ لشجاعة وجسارة هذا الجواد ، وفي الكناية أيضا تشخيص للجواد وتصوير له بصورة الإنسان الذي لا يرهب ولا يرتعب ، ولا تقشعر أعضاؤه مما أضفى على الكناية جمالا وقوة ، وجعلت الحصان إنسانا بحق ، وهذا من

(١) ديوان امرئ القيس تحقيق أبو الفضل ٣٣٣ ، وديوان الخيل ١٢٣/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

براعة ودقة التصوير ، وهي كناية فريدة وحيدة لم تتكرر في مبناها قط في ديوان الخيل .

٢ــ وقال مُخَرِّمُ بنُ حَزْنٍ يصف الخيل من مقطوعة في وقائعه مع بني نمير[١] :

وَخَيْلٍ قَدْ لَبَسْتُهُمْ بِخَيْلٍ ... تَخُوضُ الْمَوْتَ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ

لبستهم : خلطتهم ويقصد الفرسان . وقوله : " تَخُوضُ الْمَوْتَ " كناية عن جرأة هذه الخيول وشدة إقدامها ؛ لأن الخيول التي تقتحم حومة الوغى غير هيابة من رماحٍ ولا مبالية من سهامٍ يستلزم أن تكون مقدامة جريئة شجاعة .

والشاعر عدل عن هذا اللفظ الصريح إلى عبارة " تَخُوضُ الْمَوْتَ " لما فيها من مبالغة رائعة لكل معاني البطولة والشجاعة لدى تلك الخيول التي تخوض الموت غير هيابة ولا طائشة ولا رعديدة بل تقتحمه مقبلة غير مدبرة.

وقد زاد الكناية بهاء وروعة ، وأضفى عليها حسنا وقوة تضافر الاستعارة مع الكناية في هذا الأسلوب ، فقوله : " تخوض " استعارة تبعية ، ويجوز أن يكون الموت استعارة مكنية حيث جسد الموت وجعله كالماء أو الدم يخاض فيه ، وكل هذا يعود على أسلوب الكناية بالقوة

---

(١) انظر ترجمته وشعره في معجم الشعراء للمرزباني ٤٤٢ ، وديوان الخيل ٧٧٣/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والحيوية ، ويبرز شجاعة الخيل بصورة رهيبة لا توصف ، وقوله " فِي يوم عصيب " قيد رائع ودقيق يدل على أن المعركة كانت حامية الوطيس لا يهدأ لها أوار ، ولا تخمد لها نار ، ومع ذلك خاضتها خيوله بجسارة وشجاعة ، وهكذا تعاورت تلك العناصر اللفظية مع الاستعارة والكناية في رسم لوحة أسطورية ملحمية لخيوله ، وهي كناية كما ترى فريدة وحيدة في صيغتها لم يُنسج على منوالها قط .

* * *

الصورة التاسعة : الكناية عن إهمال الخيل ، وجاءت في موضعين.

ـ قال عنترة بن شداد من مقطوعة يذم إخوته إهمال مهرهم [1]:

أَبَنِي زَبِيبَةَ مَا لِمُهْرِكُمُ ... مُتَخَدِّدًا وَيُطُونُكُمْ عُجْرُ

أَلُكُمْ بِمَاءِ الْوَشْيِجِ إِذَا ... مَرَّ الشِّيَاهُ بِوَقْعِهِ خَبَرُ

إِذْ لَا تَزَالُ لَكُمْ مُغَرْغَرَةٌ ... تَغْلِي وَأَعْلَى لَوْنِهَا صَهَرُ

لَمَّا غَدَوْا وَغَدَتْ سَطِيحَتُهُمْ ... مَلأَى وَبَطْنُ جَوَادِهِمْ صُفْرُ

المتخدد : المهزول القليل اللحم . عجر : ملأى ، الواحد أعجر « السَّطِيحة : المَزادة التي من أَديمَيْن قُوبل أَحدُهما بالآخر ، وتكون صغيرة وتكون كبيرة ، وهي من أَواني المياه » [2] يعير عنترة إخوته بحرصهم

(١) شرح ديوان عنترة ١٦١، وديوان الخيل ٦٣٧/٢ .

(٢) لسان العرب لابن منظور " س.ط.ح " .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على أن تكون بطونهم مليئة بالطعام ، ومزادتهم مليئة بالماء ، وهذا في حد ذاته ليس عيبا أو غريبا ، ولكن العيب كل العيب والغرابة كل الغرابة عدم اهتمامهم بإطعام جوادهم وسقيه ، وهذا في عُرفهم مخزاة يتعايرون بها ، ويذمون من أجلها .

ومن ثم فقوله : " مَا لِمُهْرِكُمُ مُتَخَدِّدًا وَبُطُونُكُمْ عُجْرُ "، وقوله: " سَطِيحَتُهُمْ مَلأَى وَبَطْنُ جَوَادِهِم صُفْرُ " كنايتان واضحتان عن إهمال الخيل وعدم رعايتها ؛ لأن المذكور يستلزم هذا المعنى الكنائي ، وهما ـ كما ترى ـ صورتان لاذعتان شديدتا السخرية .

وتبدو البلاغة العالية للكناية هنا في إبراز " الإهمال " مصحوبا بحجته وبرهانه كما يتجلى فضلها في تصويرها لهذا الأمر المعنوي المجرد في صورة حسية تجعله أكثر رسوخا وقرارا في الذهن .

وهكذا صور عنترة إهمال إخوته لمهرهم بكنايتين مختلفتين اشتركتا في معنى واحد واختلفتا في الصياغة ، وهذا كثير في شعرنا العربي ، وقد التقط الإمام هذه اللقطة في كنايات أخرى فأبان عن ذلك بقوله : « وقد يجتمع في البيت الواحد كنايتان ، المغزى منهما شيء واحد ، ثم لا تكون إحداهما في حكم النظير للأخرى . مثال ذلك أنه لا يكون قوله : "جبان الكلب " نظيرًا لقوله : " مهزول الفصيل " ، بل كل واحدة من هاتين الكنايتين أصل بنفسه ، وجنس على حدة ، وكذلك قول ابن هرمة [من المنسرح]:

لا أُمْتِعُ العَوْدَ بالفِصَالِ وَلا ... أَبْتَاعُ إلا قَرِيبَةَ الأَجَلِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليس إحدى كنايتيه في حكم النظير للأخرى ، وإن كان المكنى بهما عنه واحدا فاعرفه وليس لشعب هذا الأصل وفروعه وأمثلته وصوره وطرقه ومسالكه حد ونهاية » (١) .

هذا ، ولم ترد الكناية عن الإهمال في ديوان الخيل إلا في هذين الموضعين ، ومجيء الكناية عن الإهمال بقلة ، ومجيء عكسها الإكرام كما مر بكثرة يدل على أن إكرام الخيل هو الأصل ، وأن إهمالها وعدم الاهتمام بها هو بلغة النحاة أمر استثنائي لا يقاس عليه يؤكد ذلك أن الكنايتين وردتا في مقام ذمهم ، وهذا من أشد أنواع الذم ، وأقبح ألوان الهجاء في هذه البيئة التي تمجد الخيل وتفضلها على الزوجة والولد كما مر .

* * *

ثانيا : الكنايات المعنوية عن الفرسان ، وجاءت في تسع صور .

الصورة الأولى : الكناية عن شجاعة الفرسان ، ووردت في ثمانية مواضع .

١ـ قال حاتم الطائي من مقطوعة يمدح بني بدر ويصف سرعة خيولهم (٢) :

الضَّارِبِينَ لَدَى أَعِنَّتِهِمْ الطَّاعِنِينَ وَخَيْلُهُم تَجْرِي

---

(١) دلائل الإعجاز تحقيق شاكر ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٢) ديوان حاتم ، دار بيروت ٥٤ ، وديوان الخيل ١٩٤/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يمدح الشاعر بني بدر بالشجاعة والجرأة والفروسية فتراه يعبر عن ذلك بالألفاظ الموضوعة لهذه المعاني في اللغة ، وعبر بقوله " الطَّاعِنينَ وَخَيلُهُم تَجْرِي " كناية عن شجاعتهم وجسارتهم وشدة بأسهم وحسن كرهم وفرهم في معترك القتال؛ لأن من يطعن الأعداء ، والخيل تجري وتقبل وتدبر يدل على مدى إتقانهم ، وشدة تحكمهم في صهوات خيولهم ، وهم فوقها لا يترنحون ولا يتساقطون ، وهذا يستلزم شجاعتهم وجرأتهم الفائقة ، فالكناية بعيدة ذات وسائط كما ترى ، والمعنى الحقيقي في هذا البيت من الممكن تحققه ، ولكن الشاعر يصبو إلى ما ذكرناه ؛ لأنه الأولى في هذا السياق ، وهو تصوير رائع يقدم لك المعنى بدليله ، وفيه أيضا مبالغة وإيجاز واضحين .

وتأمل الإضافة في قوله : "وَخَيلُهُمْ " وما تفيدُ من تخصيص لخيولهم دون خيول غيرهم ، ولاحظ التعبير باسم الفاعل الضاربين ، والطاعنين الذي يدل على أن ذاك من ديدنهم وعادتهم ، ولاحظ كذلك التعبير بالمضارع " تَجْرِي " الذي يستحضر أمامك الصورة بحلاوتها وروعتها ، وهي صورة مليحة طريفة وحيدة فريدة في مبناها .

٢ــ وقال الحادرة الغطفاني واصفا الخيل من قصيدة مفتخرا بآبائه (١) :

الْمُقْبِلِينَ نُحُورَ خَيلِهِمُ ... حَدَّ الرِّمَاحِ وَغَبْيَةَ النَّبْلِ

(١) ديوان شعر الحادرة ٨٦ ، وديوان الخيل ٢٠٢/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أصل الغبية : الدفعة الشديدة من المطر ، وكل دفعة من نبل ، أو خير أو شر فهي غبية ، والبيت بنظمه كله كناية عن جراءة وشجاعة آبائه المتناهية ؛ لأن من يقتحم ميدان المعركة بنحور الخيل لا يتهيب من طعنات الرماح ، ولا يتخوف من دفعات النبال لا شك يكون جسورا مقداما غاية في الشجاعة والشهامة .

فكما ترى فإن الشاعر حين أراد التعبير عن هذا المعنى لم يورده خاليا من الدليل على صحة دعواه ، وصدق زعمه بل قدمه ممزوجا بالبرهان الساطع ، والدليل الناصع ، وهذا من فضل الكناية على الحقيقة في هذا المجال ، ومن روعتها أيضا أنها أضفت على قومه صورة أسطورية لا تكاد تحدث في الواقع الخارجي ، وفيها أيضا تصوير للمعقول " الجرأة والشجاعة والقدرة الفائقة " على شتى فنون القتال بصورة حسية مرئية ، وكل هذا يتناغى مع مقام الفخر مناغاة بينة ، وهي كناية فريدة وحيدة لم تتكرر في ديوان الخيل .

٣ــ وقال عنترة مفتخرا واصفا الخيل من قصيدة توعد فيها الملك النعمان [١] :

مَا زِلْتُ أَلْقَى صُدورَ الْخَيْلِ مُنْدَفِقًا ... بِالطَّعْنِ حَتَّى يَضِجَّ السَّرْجُ وَاللَّبَبُ

قوله : " ما زِلتُ أَلْقَى صُدورَ الْخَيْلِ مُنْدَفِقًا " كناية عن شجاعته وجسارته وجرأته الفائقة ؛ لأن من يفعل هذا بحق يستلزم أن يكون ذا

(١) شرح ديوان عنترة ١٢ ، وديوان الخيل ٢/٦٥٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بأس وشجاعة خارقة .

وقد بلغ التعبير عن شجاعته ذروتها في لفظة " مُنْدَفِقًا " وما تحويه من تصوير بارع في وصف شدة اندفاعه واكتساحه لكل ما هو أمامه ، وكأنه السيل الجارف العارم الذي لا يبقي أمامه ولا يذر ، كما تألق الشاعر في التعبير بقوله : "حَتَّى يَضِجَّ السَّرْجُ وَاللَّبَبُ " وكأن السرج واللبب من شدة شجاعته صار كائنا حيا يصرخ ويشتكي ويضج من شجاعة عنترة وعنفوانه ، وهي استعارة مكنية رائعة تناغمت مع الكناية ، وزادت الأسلوب رفعة وكسته حلاوة وروعة ، وهي صورة وحيدة فريدة في نظمها .

٤ــ وقال عنترة بن شداد أيضا من قصيدة مفتخرا بقومه واصفا الخيل [١] :

وَنُنْعِلُ خَيْلَنَا فِي كُلِّ حَرْبٍ عِظَامًا دَامِيَاتٍ أَوْ جُلُودَا

أراد : نجعل من عظام القتلى وجلودهم نعالا لخيلنا ، فقوله : " وَنُنْعِلُ خَيْلَنَا " الخ البيت كناية عن جسارتهم وشجاعتهم وقوة شكيمتهم ؛ لأن من ينعل خيله عظام أعدائه وجلودهم يستلزم أن يكون قضى عليهم قضاء مبرما لم يُبق منهم ولم يذر حتى استخدم عظامهم وجلودهم نعالا لخيولهم ، وهذا يستلزم الجرأة الفائقة والشجاعة غير المتناهية .

ومن يتأمل أسلوب هذه الكناية يلحظ أن المعنى الحقيقي هنا

(١) شرح ديوان عنترة ٤٦ ، وديوان الخيل ٦٥٣/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بستحيل حدوثه لخصوصية في هذا التركيب لا لذات القرينة ، وهي كناية كما ترى مركبة ، كما أنها كناية بعيدة توصلنا إليها بأكثر من واسطة ، وهي تختلف عن سابقاتها حيث إن المبالغة فيها كادت تصل حد الغلو والإغراق ، ولكنها على كل حال أقوى في مقام الفخر والتمدح بالشجاعة ، وهي تتلاءم مع نفسية الشاعر ، وشدة اعتزازه بنفسه بوضوح ، وهي كذلك صورة وحيدة فريدة في مبناها لم ينهج شاعر في ديوان الخيل نهجها .

٥ ـ وقال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة يصف الخيل من قصيدة مفتخرا بقومه[1] :

إِذَا طَرَدْنَا كَسَوْنَا الْخَيْلَ أَنْضِيَةً ... وَإِنْ طُرِدْنَا كَأَنَّا خَلْفَنَا زُورُ

أنضية : جمع نضي ، والنضيُّ نصل السهم . زور: جمع أزور يريد الجيوش . والمعنى : إذا غزونا اكتست خيلنا بالسهام لشدة الاقتحام غير مبالية ، وإن غُزينا تجمع قومنا في جيوش عظيمة ، فقوله : " إِذَا طَرَدْنَا كَسَوْنَا الْخَيْلَ أَنْضِيَةً " كناية عن الجرأة والإقدام وشجاعة الفرسان ؛ لأن الخيل التي تكتسي من نصال السهام تدل على أن أصحابها قد اقتحموا بها حومات الوغى دون خوف ، وعودوها الإقدام دون وجل ، وهذا يستلزم بطبيعة الحال جسارة أصحابها وشجاعة فرسانها بل وشجاعتها هي أيضا ، فهي صورة كنائية مركبة تحكى شجاعة الأفراس

(١) ديوان دريد ٩٢ ، وديوان الخيل ٣٠٢/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والفـرسان معا ساقـها الشاعر ممزوجة بدليل يكشف صدق ما ذكره بما لا يخالج أحد الشك في صحة ادعائه .

واللافت هنا الدقة في اختيار لفظة " كَسَوْنَا " حيث تصور أيضا هول المعركة وشدتها وضراوتها ، ومدى شجاعة هؤلاء الفرسان الذين يقتحمون المعمعة لا يتهيبون حتى اكتست خيولهم بالسهام ، وهذه الكناية لم تتكرر بل هي فريدة وحيدة شأن سوابقها.

٦ـ وقال السفاح التغلبي يصف الخيل من قصيدة يرد فيها على لوم امرأته[1]:

فَقُلْتُ لَهَا لا الغَزْوُ يُدْنِي مَنِيَّةً ... ولَنْ يَدْفَعَ الإِشْفَاقُ مَا كُنْتُ أَحْذَرُ

وإِنَّكِ لَوْ أَبْصَرْتِنِي يَوْمَ صَبَّحَتْ ... هَوَازِنَ أَمْثَالُ السَّرَاحِينِ ضُمَّرُ

أُعَرِّضُهَا لِلطَّعْنِ فِي كُلِّ غَمْرَةٍ ... فَتَسْلَمُ أَحْيَانًا وَحِينًا تُعَفَّرُ

البيت الأخير كله كناية مركبة عن الجرأة والإقدام ؛ لأن من يسلك بخيله معمعة القتال لا يتردد ولا يوجل ، ومن يعرضها لطعنات الرماح ، وضربات السهام لا يبالي ولا يرهب يستلزم أن يكون شجاعًا مقدامًا جسورًا ، وهذا ثناء على الأفراس والفرسان معا دلت عليه تلك الصورة الكنائية المركبة التي لم تتكرر قط في الشعر الجاهلي بنظمها هذا ، وإن كانت الكناية عن الجرأة والإقدام وردت بصور مغايرة كما مر قبل إلا أن هذه الصورة أقل مبالغة في وصف الشجاعة بسبب قوله : " وَحِينًا تُعَفَّرُ "

(١) الأنوار ومحاسن الأشعار ١٢٠ ، وديوان الخيل ٤١٥/١ ، ٤١٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لأنه لم يجزم بسلامتها مما يُشكك في شجاعتها وفروسية فرسانها ، ومقام الفخر يتكئ على المبالغة والتعاظم حتى لو كان ما وصفه هو الواقع الذي حدث له .

٧ـ وقال ضمرة بن ضمرة النهشلي من مقطوعة يصف فرسه " أثال " (١) :

الا مَنْ مُبْلِغٌ عنِّي ذُبَابَا ... ذُبَابَ السَّلْحِ أيُّ فَتًى حَوَاهَا

فلو صَادَفْتَنِي وَأُثَالُ فِيهَا ... أَعَنْتَ العَبْدَ يَطْعَنُ فِي كُلاهَا

مُحَبَّسَةً عَلَى الأهْوَالِ شُعْثًا ... وَكَانَتْ لا تُعَوَّجُ عَنْ هَوَاهَا (٢)

الَمْ تَرَ أنَّنِي قُيِّلْتُ فِيهَا ... وكَانَتْ لا تُقَيِّلُ مَنْ أتَاهَا

قُيِّلْتُ : اطمأننتُ . لا تُقَيِّلُ مَنْ أَتَاهَا : لا يطمئن عليها من ركبها سواي ، فالبيت الأخير كناية عن شجاعته وفروسيته الفائقة ؛ لأن من يقدر على التحكم في هذه الفرس الجموح التي لا يستطيع ركوبها أحدٌ سواه لا شك يكون من الفرسان الكماة الشجعان .

فالشاعر أراد أن يعبر عن شجاعته وفروسيته فترك المعنى المباشر ، واختار هذه الصورة الكنائية لتعبر عن مراده فجاءت في

---

(١) أنساب الخيل لابن الكلبي ٤٤ ، وشعر بني تميم ٢٨٧ ، وديوان الخيل ٤٦٩/٢ .

(٢) محبسة : مقصورة على ملاقاة الشدائد . لا تعوج عن هواها : لا تبتعد عن محاربة أعدائها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

محلها الأليق بها بما لا يمكن للحقيقة أن تسد مسدها ، وهي صورة فريدة وحيدة في نظمها كما ترى .

٨ ـ وقال النَّابِغَةُ الْحَارِثِيُّ يذكر الخيل من قصيدة فخرية [١] :

وَإِذَا السُّيُوفُ قَصُرْنَ بَلَّغَهَا لَنَا ... حَتَّى تَنَاوَلَ مَا نُرِيدُ خُطَانَا

وَإِذَا الْجِيَادُ رَأَيْنَنَا فِي مَجْمَعٍ ... أَعْظَمْنَنَا وَزَحَلْنَ عَنْ مَجْرَانَا

مجمع : ميدان الحرب . أعظمننا : أكبرننا وأجللننا لعلمهن بمدى قوتنا وشجاعتنا وفروسيتنا . زحلن : ابتعدن . مجرانا : طريقنا . فقوله : " وَإِذَا الْجِيَادُ رَأَيْنَنَا فِي مَجْمَعٍ أَعْظَمْنَنَا وَزَحَلْنَ عَنْ مَجْرَانَا " كناية عن شجاعتهم الفائقة التي أجبرت خيل أعدائهم على الابتعاد عن طريقهم خوفا ورهبة ، وإجلالا وإعظاما ، وإذا كانت جياد الأعداء العجماء البكماء بهذا القدر من الخوف والرهبة والتحسب فما بالك بفرسانها ؟!

وتبدو الروعة في هذه الكناية جلية في إسناد صفة من الصفات البشرية لذوات الأربع ، فمن يدقق يلحظ أن الشاعر خلع على الخيول أحاسيس هي ألصق بالإنسان ولا تتصف بها إلا على سبيل الاستعارة المكنية ، وكل ذلك أضفى على الكناية حسنا وبهاء وزادها أبهة وجمالا ، وهي كناية عن صفة قريبة تحتاج إلى قليل من التأمل في إدراكها ، كما

(١) المؤتلف والمختلف ٢٩٤ ، وشعر قبيلة مذحج ٢ / ٥٩٦ ، وديوان الخيل ٨١٦/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنها صورة وحيدة فريدة في مبناها .

هذا ، ومن يلاحظ الكنايات السابقة كلها يجد أنها مركبة من جملة أو أكثر ، وهذا مما تتميز به تلك الصورة الكنائية ، كما يلاحظ أيضا أن هذه الصورة تتسم بأن جميع مواضعها تفردت في مبناها لم ينسج أحدٌ على منوالها ، وإن اشتركت في المعنى العام ، ولكل كناية خصوصية تميزها عن غيرها يلمحها المتأمل المدقق في الأساليب .

* * *

الصورة الثانية : الكناية عن الاستعداد للحرب ، ووردت في موضعين .

١ـ قال الحارث بن عباد من قصيدة فخرية [١] :

قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبُ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ

النعامة : فرس الحارث ، لقحت الحرب : هاجت بعد سكون ، وقوله : " قَرِّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ " كناية عن الاستعداد للمعركة ؛ لأن تقريب النعامة وإسراجها من لوازم الاستعداد للحرب .

وهذه العبارة تكررت في تلك القصيدة " ٤٧ " مرة ، وقد أضفى تكرارها على الكلام قوة وجزالة ، وزاد من نبرة التهديد والترويع لتغلب .

والمعنى الحقيقي هنا قد يكون مرادًا مع المعنى الكنائي ولا يمنع السياق ذلك ، وهذا يعود على الأسلوب بالغنى والثراء لاحتماله أكثر من

(١) ديوان بني بكر ٥١٦ ، وشعراء النصرانية ٣/ ٢٧٢ ، وديوان الخيل ٢١٣/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دلالة ، وهي كناية صالحة لأن تقال في أي عصر ، ومن الممكن أن تقال في عصرنا عصر الأسلحة غير التقليدية حين نقول : " قربوا أسلحتكم وجهزوا دباباتكم وأعدوا طائراتكم " وتكون كناية عن المعنى نفسه ، وهي كناية جد بديعة ؛ لأنها مصحوبة بدليلها من تقريب النعامة وتسريج الأسراج ، كما أنها كناية فريدة وحيدة في مبناها لم ترد عند شاعر آخر غير الحارث .

٢ــ وقال رَاشِدُ بنُ شِمَاس الطَّائِي من بيت واحد يصف " الخرماء " فرسه [١] :

إذَا الْخَرْمَـــاءُ أَمْكَـــنَ جَانِبَاهَـــا فَقَرِّبْنِـــي لِـــضَرْبٍ أَوْ قِـــرَاعِ

الخرماء : اسم فرسه بمعنى الأذن المنخرمة . وقوله : " أَمْكَنَ جَانِبَاهَا " كناية عن تذليلها واستعدادها للحرب ؛ لأن الفرس العصية الأبية إذا أمكنت صاحبها من امتطائها ، وصار متنها طيعا عليه فهذا يعني أنها رُوِّدَت وذُلِّلَت ، وَعُلِّمت حُسن الكر والفر ، وهـذا يـستلزم اسـتعدادها للدخول في غمار المعركة ، وهنا تبلغ دقة الشاعر في التعبير بقولـه : " جَانِبَاهَا " مبلغا دقيقا ؛ إذ الفرس المتمردة غير المروضـة لا يـستطيع الفارسَ أن يمتطيَ ضهوتها ، ويُرخي رجليه على جانبيها ، ومن ثم ساغ له أن يقول : " فَقَرِّبْنِي لِضَرْبٍ أَوْ قِرَاعٍ " أي مادمت قد تمكنتُ من تذليلها

(١) أسماء خيل العرب للغندجاني٨٦ ، ومعجم أسماء خيل العرب١١٠ ، وديوان الخيل ٨٩٠/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقربني لمضاربة ومقارعة أعدائي ولا تبالي ، لأن معي فرسا طيعة أمكنتني من جانبيها ، فالتعبير دقيق بلغ الغاية ووصل النهاية ، وهي كناية بعيدة ذات وسائط ، كما أنها كناية فريدة في مبناها .

* * *

الصورة الثالثة : الكناية عن الانتصار ، ووردت في موضعين .

١ـ قال امرؤ القيس يصف الخيل حين أوقع ببني أسد قتلة أبيه (١) :

سَائِلْ بَنِي أَسَدٍ بِمَقْتَلِ رَبِّهِمْ ... حُجْرِ بْنِ أُمِّ قَطَامِ جَلَّ قَتِيلا

إِذْ سَارَ ذُو التَّاجِ الْهِجَانِ بِجَحْفَلٍ ... لَجِبٍ يُجَاوِبُ بِالْفَلاةِ صَهِيلا

حَتَّى أَبَالَ الْخَيْلَ فِي عَرَصَاتِهِمْ ... فَشَفَى وَزَادَ عَلَى الشِّفَاءِ غَلِيلا

أبال الخيل : تركها تبول . العرصات : جمع عرصة ، وهي ساحات البيوت ، وقوله : " حتَّى أَبَالَ الْخَيْلَ فِي عَرَصَاتِهِمْ " كناية عن انتصار قومه واندحار أعدائهم بني أسد ؛ لأن الخيل التي تبول في عرصات ديار الأعداء مطمئنة لا تلقى مقاومة يستلزم أن تكون خيلا منتصرة ، وآثر الشاعر هذا المكني به ؛ لأنه أقدر على رسم لوحة مخزية لهزيمة بني أسد تلك الهزيمة الساحقة التي مكنت الخيول المنتصرة من الوقوف في أفنية دورهم تفعل ما تفعله هادئة وادعة ، وهي صورة وحيدة فريدة في مبناها .

(١) ديوان امرئ القيس تحقيق أبو الفضل ٣٦٠ ، وديوان الخيل ١١٣/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ــ وقال حُجْرُ بنُ عُقْبَةَ الفَزَارِيّ من مقطوعة يصف الخيل (١) :

وَلَسْتُ أَجْعَلُ مَالِي فَرْعَ دَالِيَةٍ ... فِي رَأْسِ جِذْعٍ تُحِيلُ الْمَاءَ فِي الطَّنَفِ

بَنَاتُ أَعْوَجَ تَرْدِي فِي أَعِنَّتِهَا ... خَيْرٌ خَرَاجًا مِنَ التُّفَّاحِ وَالسَّتَفِ (٢)

كَمْ مِنْ مَدِينَةِ جَبَّارٍ مُمَنَّعَةٍ ... تَرَكْنَهَا فَلَجَاتٍ كَالْمَيَادِينِ

ممنعة : مستعصية على الغزو . فلجات : مشقوقة نصفين ، وقوله : " تَرَكْنَهَا فَلَجَاتٍ " كناية عن انتصارهم وانـدحار أعـدائهم ؛ لأن الخيـول المدربة على اقتحام مدن الجبارين وشقها نصفين حتى صارت ميـادين فسيحة يستلزم انتصار فرسانها وهزيمة أعدائها .

وقد تآزر التشبيه مع الكناية هنا في رسم لوحتين رائعتين تهفـو إليهما النفوس وتشرأب لهما الأعناق الأولى: صورة مرعبة للمدينة التي كانت حصينة ممنعة وأضحت ميادينها متهالكة الأركان ، والثانية : صورة مفرحة للخيل المنتصرة التي وطأت ربوعها وداست في أرجائها ، وهـي كما ترى كناية فريدة وحيدة لم تتكرر في ديوان الخيل .

* * *

الصورة الرابعة : الكناية عن الأسر ، ووردت في موضعين .

١ــ قال أوس بن غلفاء يصف الخيل من قصيدة افتخر فيها بقومه

(١) الوحشيات لأبي تمام ٦٢ ، وديوان الخيل ٢٢٣/١ .

(٢) أعوج : فحل مشهور لبني هلال تنسب إليه الخيل الجياد . خير خراجا : أفضل وأحسن .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١) :

أَوْ مَجَامِعَ الْوَرِكَيْنِ مِنْهَا مَكَانَ الْمَرْجِ أُثْبِتَ بِالْحِزَامِ

مجامع الوركين : عجز الفرس . منها : يعني الفرس . والمعنى أدبر ثم أركبه خلفه ، والبيت كله كناية مركبة عن أسر عدوه ؛ لأنه يلزم من إركاب عدوه خلفه أن يكون قد أسره ، والشاعر لم يعبر عن الأسر بصراحة ولكنه دلف إليه بذكر هذه الصورة الكنائية البارعة ، وهي صورة متعارف عليها عند العرب إذا أُسر الأسير فإن الفارس يردفه خلفه ليربط مجامع وركي فرسه ، وبذلك صور لنا الأسر – وهو أمر عقلي – في صورة محسوسة خلابة لا يرقى إليها شك أو احتمال ، وفي هذا تأكيد للمعنى في أذهان السامعين ، وفيها أيضا إثبات للمعنى بدليله على العادة المتعارف عليها ، وهي صورة وحيدة فريدة لم تتكرر في صياغتها .

٢ – وقالت الخنساء من قصيدة تلوم الدهر وتفتخر بقومها واصفة الخيل[٢] :

وَخَيْلٍ تَكْدِمُ[٣] بِالدَّارِعِينَ وَتَحْتَ الْعَجَاجَةِ يَجْبِزْنَ جَمْرَا

---

(١) الفضليات ٣٨٩ ، والأصمعيات ٢٣٣ ، وشعر بني تميم ٤٤٣ ، وديوان الخيل ١/١٤١ .

(٢) ديوان الخنساء ٨٥ ، وديوان الخيل ١/٢٨٤ .

(٣) تكدم : تكدم حذفت التاء تخفيفا ، والتكدم : أن يعض الفرس بفمه إلى قدام كأنه متقل .

جَزَزْنَا نَوَاصِي فُرْسَانِهَا وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنْ لا تُجَزَّا

فقولها : " جززنا نواصي فُرسانِها " كناية عن الأسر والمذلة ، لأن من عادتهم في الجاهلية إذا أسروا الفارس كانوا يجزون ناصيته إذلالا له ، وإيذانا بأسره ، وعليه فهي كناية قريبة واضحة حسب رأي البلاغيين المتأخرين ؛ لأنه يلزم من المكني به الملفوظ المكني عنه الملحوظ بيسر وسهولة ، وهي كناية فريدة وحيدة في مبناها .

* * *

الصورة الخامسة : الكناية عن الهزيمة والفرار ، ووردت مرة واحدة .

ـ قال قَيْسُ بنُ الْخَطِيمِ من قصيدة مفتخرا ذاكرا الخيل [1] :

وَابْنَا حَرَامٍ وَثَابِتٌ كُشِفَتْ خَيْلاهُمَا عَنْهُمَا وَقَدْ عَطِبَا

زُرْنَاهُمُ بِالْخَمِيسِ ضَاحِيَةً نُزْجِي إِلَى الْمَوْتِ جَحْفَلاً لَجِبَا

ابنا حرام : لعله يريد بابن حرام : المنذر بن حرام من مالك بن النجار من الخزرج ، وقد تحاكمت إليه الأوس والخزرج في حربهم يوم سُمير ، وابنه هو ثابت والد حسان بن ثابت . العطب : الهلاك . وقوله : " كُشِفَتْ خَيْلاهُمَا عَنْهُمَا " كناية عن الهزيمة والفرار؛ لأن الخيل المنكشفة للعدو تكون معرضة للطعان والهجوم عليها ، وهذا يستلزم هزيمتها وهزيمة فرسانها ، وبخاصة إذا لم يكن من يمتطيها فارسا شجاعا فإنه لا شك يفر أو يخر ساقطا هالكا ، والشاعر لم يعبر صراحة بلفظ الهزيمة ،

(١) ديوان قيس بن الخطيم ١٧٥ ، وديوان الخيل ٧٠٧/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولكنه توصل إليه بذكر عبارة يلزم منها هذا المعنى الكنائي ، وهي كناية اتسقت مع مقام الذم والهجاء لأعدائه اتساقا واضحا ، وهو ذم مقذع ، وهجاء لاذع في تلك البيئة المعتزة بالفروسية المعيرة بضدها ، وهي صورة وحيدة فريدة مبنى ومعنى .

* * *

الصورة السادسة : الكناية عن كرم الفرسان ، ووردت في موضع واحد .

ـ قال حسان بن ثابت من قصيدة فخرية جاهلية [1] :

إذا اغبرَّ آفاقُ السَّماءِ وأمحلَتْ ... كأنَّ عليها ثوبَ عصبٍ مُسهَّما

حسِبتَ قُدورَ الصَّادِ حولَ بيوتِنا ... قَنابِلَ دُهْمًا في المَحَلَّةِ صُيَّما

الصاد : النحاس . القنابل : الجماعات من الخيل واحدها قنبلة .

الصائم : القائم يشبه الشاعر قدورهم النحاسية في كثرتها وعظمها بجماعات الخيول السود الواقفة في محلتهم ، وهذا كناية عن شدة الكرم ؛ لأن القدور النحاسية إذا كانت بهذا الحجم من الكثرة والعظم يستلزم أن يكون أصحابها شديدي الكرم والعطاء ، وبخاصة في وقت الجدب والقحط كما بَيَّنَ البيت السابق ، وهي كناية غريبة في هذا المجال ؛ لأنها تولدت من رحم أسلوب التشبيه ذاته ، ولم تأت منفصلة عنه ، ولا غرابة في توالد الصور الشعرية عند هؤلاء الجاهليين ، فهم أقدر الشعراء على الإتيان بالبديع المُعْجِبِ المُغْرِبِ المُطْرِبِ ، ولا غرابة أيضا في تعاور

(١) ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق د/ سيد حنفي ١٢٩ ، وديوان الخيل ٢٢٨/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التشبيه والاستعارة مع الكناية في أداء الغرض الذي يرمي إليه الشعراء وقد مر بنا هذا أكثر من مرة ، كما أنها كناية مُصَوِّرَةٌ للمعقول في صورة المحسوس لأن المذكور هنا حسيٌّ ، والمستور معنويٌّ ، وهذا يرسخ المعنى في النفس ، ويقرره في الذهن ، وهي صورة وحيدة فريدة لم تتكرر في ديوان الخيل .

الصورة السابعة : الكناية عن الزعامة ، ووردت مرة واحدة .

ـ قال إياس بن قبيصة الطائي من مقطوعة مفتخرا واصفا الخيل [1] :

وَمَبْثُوثَةٍ بَثَّ الدَّبَا مُسْبَطِرَّةٍ ... رَدَدْتُ عَلَى بِطَائِهَا مِنْ سِرَاعِهَا

وَأَقْدَمْتُ وَالْخَطِّيُّ يَخْطِرُ بَيْنَنَا ... لِأَعْلَمَ مَنْ جَبَانُهَا مِنْ شُجَاعِهَا

المبثوثة : الخيل المتفرقة . الدبى : الجراد . المسبطرة . الممتدة ، وقد شرح المرزوقي هذا البيت فأوضحه بقوله: « رب خيلٍ متفرقةٍ ممتدةٍ في وجه الأرض امتداد فراخ الدبا وتفرقها ... أنا رددت أولها على آخرها ، وحبست متقدماتها على متأخراتها حتى لحقت الأعجاز بالصدور ، واختلطت اللواحق بالسوابق ... والمعنى فعلت ذلك ليبين فضلي على غيري » [2] .

(١) الحماسة لأبي تمام ١/ ١٢١ ، وشعراء النصرانية ١/ ١٣٧ ، وديوان الخيل ١٤٣/١ .

(٢) ديوان الحماسة للمرزوقي ٢٠٩ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقوله : " وَمَبْثُوثَةٍ بَثَّ الدَّبَا " الخ البيت كناية عن رئاسته وزعامته ؛ لأن من موجبات الرئاسة ومقتضيات الزعامة في الجاهلية أن يكون الشخص قادرًا على أن يرد الخيل الكثيرة المنتشرة على أعقابها من حيث أتت ، أو يرسلها حيث يريد .

وقد آثر الشاعر التعبير الكنائي على الحقيقي ؛ لأن الحقيقة لا تقيم دليلا على صحة الدعوى كما تفعل الكناية هنا حيث أبانت عن المعنى مقترنا بدليله وفي طياته برهانه ، فمن يتقدم صفوف الجيش ، ويرد بطاء الخيل على سراعها لا شك يكون رئيسا مطاعا في قومه ، فكشفت الكناية عن هذا المعنى بدقة بما لا تستطيع الحقيقة أن تؤديه .

وقد زاد الكناية وضوحا قوله في البيت بعده " لأَعْلَمَ مَنْ جَبَانُهَا مِنْ شُجَاعِهَا ".

وهكذا تعاور السياق المكتنف بالكناية في إبرازها في صورة حسنة تهفو لها القلوب ، وتلتذ بها النفوس ، وهي كناية فريدة وحيدة في مبناها ومعناها .

* * *

الصورة الثامنة : الكناية عن جبن الفرسان ، ووردت مرة واحدة .

– قال دُرَيْدُ بن الصمة من قصيدة يفخر ببطولاته واصفا الخيل[1]:

تَمَنَّيْتَنِي زَيْدَ بْنَ سَهْلٍ سَفَاهَةً وَأَنْتَ امْرُؤٌ لا تَحْتَوِيكَ مَقَانِبُ

(1) ديوان دريد بن الصمة ٤١ ، وديوان الخيل ٢٩٧/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقانب : جمع مقنب ، والمقنب من الخيل : ما بين الثلاثين والأربعين ، وقيل زهاء ثلاثمائة . لا تحتويك مقانب : أي لست بفارس فلا تضمك الجيوش، وقوله: " وَأَنْتَ امْرُؤٌ لا تَحْتَوِيكَ مَقَانِبُ " كناية عن الجبن وعدم الفروسية ؛ لأن الذي لا يمتطي صهوات الخيول المحاربة المتوجهة لميدان المعركة ، ويتقهقر عن صفوف الجيش دونما عذر يستلزم أن يكون جبانا رعديدا ، وهي كناية لاذعة في هذه البيئة الجاهلية التي تعتد بالشجاعة والفروسية أيما اعتداد ، وتعير بضدهما ، كما أنها كناية عن صفة منفية حيث صرح بالموصوف ونسب له صفة منفية غير مرادة ، وإنما يُراد لازمها ، وتبدو بلاغتها في إثباتها للمعنى بدليله وبرهانه ، وتصويرها المعقول وهو جبن هذا الرجل بصورة محسوسة لا تغيب عن الأذهان ، وهو ما جعل الكناية أكثر تأثيرا وإقناعا ، وهذا من خصائص أسلوب الكناية فهو مع متعته وتأثيره على نفس المتلقي يتميز بالإقناع ، وذاك ما ظهر هنا بوضوح فإن الشاعر دلَّ على جبن من يهجوه بأنه لا يوجد ضمن جماعات الخيل المحاربة ، وهذا دليل مشاهد ومحسوس لإثبات هذا الجبن والخور ، وهي كناية فريدة وحيدة لم تتكرر في ديوان الخيل .

هذا ، وورود الكناية " عن الجبن " في موضع واحد ، وورود الكناية عن عكسها " الشجاعة " في مواضع كثيرة ـ كما مر ـ يدل على أن الشجاعة عند الجاهليين هي الأصل ، وأن الجبن هو الاستثناء ، كما كان الحال في الكناية عن الإكرام ، وعكسه الإهمال فيما مضى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

* * *

الصورة التاسعة : الكناية عن نجاة الفرسان ، ووردت مرة واحدة .

١ـ قال سُرَاقَةُ بنُ مِرْدَاسٍ في وصف فرسه التي فرَّ عليها من بني نصر [١] :

إذا مَا قُلْتُ قَدْ لَحِقُوا أَجَدَّتْ فَسَوَّغَ جَرْيُهَا بِالْعَيْشِ رِيقِي

أجدت : أسرعت في السير وهي فرسه ، وقوله : " فَسَوَّغَ جَرْيُهَا بالْعَيْشِ رِيقِي " كناية عن نجاته واستبقائه ؛ لأن سرعة فرسه جعلت أعداءه لا يدركونه فاستلزم أن يبقى حيا مبلول الريق ، والميت لا يبل ريقه ، فقدم لنا الشاعر بهذه الكناية الغريبة في نظمها ولفظها الدليل على بقائه ونجاته ، وهي من الكنايات الوحيدة الفريدة التي لم تتكرر مبنى ومعنى في ديوان الخيل .

وبعد، فلقد أتينا على جميع الكنايات المعنوية في ديوان الخيل ، ومن قبلها الكنايات الحسية ، ولعل القارئ الكريم قد أدرك الآن الفرق بين دلالتيهما ، فلكلٍّ مذاق خاصٌ وطعم مميز ، ولكن المعنوية ـ بوجه عام ـ أروع وأقوى ؛ لأنها تنقل المعنوي في صورة حسية ، كما يلاحظ أن قرائح الشعراء في المعنوية كانت وقادة وصنعتهم الشعرية كانت مرهفة ، وهكذا حال الأمور العقلية المتولدة من معاني حسية .

وتفضيل المعنوية على الحسية ليس على إطلاقه ولكنه الغالب ،

---

(١) أسماء خيل العرب للغندجاني ٧٣ ، وديوان الخيل ١/ ٤١٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فكم من كنايات حسية اقتضاها المقام كانت أروع وأجلى ، وأدق وأحلى ، وفي القرآن العظيم كنايات حسية كثيرة هي قمة الإعجاز والإيجاز والمبالغة .

كما يلاحظ أيضا أن الكنايات عن صفات معنوية كانت أكثر عددا من الكنايات عن صفات حسية ، وأن الكنايات المعنوية المركبة كانت أكثر من الكنايات المعنوية المفردة ، وهذا بلا شك يجعل الكنايات المعنوية أكثر قوة وتأثيرا وإقناعا ، كما يجعلها متفردة في معظم صورها نظما ومبنى ؛ لأن الكنايات المفردة قد تتوارد بسهولة على قرائح الشعراء عكس المركبة كما تبين لنا بوضوح شديد .

هذا ، وبمراجعة كتب البلاغة القديمة وكذا الحديثة لم أجد أحدًا من البلاغيين على حد علمي أشار إلى تقسيم صور الكناية من حيث الحسية والمعنوية ، وهذا ما ينبغي للباحثين الاعتداد به في دراستها لتبيان الفروق الدقيقة بين كلا النوعين .

*****

***

*

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثاني : بلاغة الكناية عن موصوف في ديوان الخيل .

يجدر بنا قبل الخوض في عرض مواضعها أن نلقي الضوء البلاغي على تعريفها ، وما يتعلق بها كي يكون القارئ الكريم على ذكر منها عند متابعته تحليلات صورها ، فنقول : « الكناية عن الموصوف هي التي يكون لفظها " المكني به " دالا على صفة لها اختصاص ظاهر بموصوف معين ، ويكون المقصود من ذكرها الدلالة بها عليه كقولهم في الكناية عن الخمر " أم المصائب " لشهرة الخمر عند العقلاء بجلب المصائب ، وتوليد الكوارث في العقل والمال والبدن ، وقولهم في الكناية عن السفينة : " ابْنَةُ الْيَمِّ " لملازمتها ماء البحر في جميع الأوقات ، وفي الكناية عن النساء " ذوات الخلاخيل " لملازمتهم لبسها ... ففي جميع هذه الأمثلة أطلقت الصفة ، وأريد موصوفها لوجود تلازم بينهما يجعل الذهن ينتقل بسهولة من الصفة إلى الموصوف »[1].

وبهذا يتضح أن الكناية عن موصوف يشترط فيها أن تكون الصفة المذكورة أو الصفات المذكورة من خصائص الموصوف المحذوف المكني عنه لا يشترك في هذه الصفة أو الصفات موصوف آخر كي لا يحدث لبس أو اختلاط أو تداخل أو تعمية .

(١) الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان ٢١١ ، ٢١٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما يتضح أيضا أن اللفظ المذكور المكني به قد يكون وصفا واحدا مثل موطن الأسرار في قول الشاعر :

لَمَّا شَرِبْنَاهَا وَدَبَّ دَبِيبُهَا ... إِلَى مَوْطِنِ الأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا قِفِي

وقد يكون أوصافا متعددة لا تتحقق الكناية إلا بها جميعها كقول الشاعر :

وَإِنِّي بَيْنَ الضُّلُوعِ دَمٌ وَلَحْمٌ ... هَمَا الْوَاهِي الَّذِي ثَكِلَ الشَّبَابَا

فلو اقتصر على الدم واللحم ما دلاً على الموصوف القلب ، ولكنه حين ضم الضلوع إليهما دل الثلاثة عليه ؛ لأن المجموع يشير إلى ذلك وينطبق عليه ، وقد أكد البلاغيون على هذا الأمر فذكروا أن الكناية عن الموصوف « تنقسم باعتبار لفظها المكني به قسمين : الأول : أن يكون لفظها المكني به دالا على معنى واحد ، والمراد بالمعنى الواحد ما قابل المعاني المتعددة لا ما قابل المثنى والجمع كقول الشاعر :

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مِخْذَمٍ ... وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الأَضْغَانِ

فإن صفة جمع الأضغان ـ المأخوذة من قوله مجامع الأضغان ـ معنى واحد موصوفه القلوب فأطلق الشاعر هذه الصفة لاختصاصها بالقلوب ، وأراد موصوفها ... والثاني : أن يكون لفظها المكني به دالا على معاني متعددة كل واحد منها يصلح صفة للموصوف المكني عنه ، ولكنه لا يختص به بل يوجد فيه وفي غيره ، ولا يتم الاختصاص إلا بالنظر إليها مجتمعة كقولهم في الكناية عن الإنسان : " حي طويل القامة عريض الأظفار " فالحياة صفة في الإنسان ، ولكنها لا تخصه وكذلك طول

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القامة وعرض الأنملة ، ولكنها مجتمعة تحدد معناه ، وتدل عليه ، لأنها لا توجد مجتمعة في غيره » (١) .

هذا ، وقد قسم السكاكي « الكناية عن الموصوف باعتبار وحدة المعنى المكني به وتعدده إلى قسمين : قريبة سهلة التناول والإدراك ، وهو النوع الأول من التقسيم السابق ، وبعيدة لاحتياجها إلى تأمل وتفكر في مجموع أمور وضم بعضها إلى بعض لإفادة الاختصاص والدلالة على الموصوف » (٢) .

« وأغلب الكنايات من هذا النوع – الثاني – تضفي على الموصوف ظلا آخر وتبرز معاني يتطلبها سياق الكلام ، وكنايات القرآن من هذا النوع الثاني خذ قوله تعالى ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ [القمر/١٣] يعني على السفينة ، ويمكن أن تقول إن هذه الكناية تشير إلى أنها سفينة محكمة بالدسر والألواح ، وهذا يلائم سياق الموقف الصعب الذي أحاط خطره وأحدق بكل حي .... » (٣) .

وبالتأمل في صور الكناية عن موصوف في ديوان الخيل وجدنا منها صورا قليلة جدا تعد على الأصابع مما يدخل في نطاق القسم الأول ،

---

(١) الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان ٢١٢ ، ٢١٣، والتصوير البياني ٤١٥ .

(٢) الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان ٢١٣ ، ومفتاح العلوم ٥١٤

(٣) التصوير البياني د/ محمد أبو موسى ٤١٧ بتصرف يسير .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهو القريب السهل التناول ، والبقية الكثيرة من اللون الثاني ، وهو البعيد المحتاج إلى التأمل .

كما لمحنا أيضا أن الموصوف " المكني عنه " كان يدور حول ثلاثة أصناف: جماعة الخيل، الجواد الذكر ، الفرس الأنثى ، وسنعرض لصور كل موصوف على حدة

الصورة الأولى : الكناية عن الموصوف جماعة الخيل ، ووردت مرتين .

١ـ قال أُمَيَّةُ بنُ أَبِي الصَّلْتِ في ثنايا مدحه عبد الله بن جدعان (١) :

أَنْتَ الْجَوَادُ ابْنُ الْجَوَا ... دِ بِكُمْ يُنَافِرُ مَنْ يُنَافِرْ

آبَاؤُكَ الشُّمُّ الْمَرَا ... جِيحُ الْمَسَامِيحُ الأَخَابِرْ

....

قَوْمٌ حُصُونُهُمُ الأَسِنَّةُ ... وَالأَعِنَّةُ وَالحَوَافِرْ

الصفات الثلاث في قوله : " الأَسِنَّةُ وَالأَعِنَّةُ وَالحَوَافِرْ " كناية عن أن هؤلاء القوم الذين يمدحهم أصحاب خيل وحرب فكنى عن الموصوف الحرب بقوله " الأَسِنَّة " وعن الموصوف الخيل بقوله : " الأَعِنَّة وَالحَوَافِرْ " ، وهما أكثر من صفة حسبما سبق ذكره ، وكلتاهما مختصتان بالخيل

(١) ديوان أمية بن أبي الصلت ٦٧ ، وديوان الخيل ١٢٦/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومرتبطتان بها دون سواها . فالشاعر بدل أن يقول هؤلاء قوم أهل حرب وأصحاب خيل استعاض عن ذلك بما قاله ، والذي جعله يسلك هذا المسلك هو وجود التلازم الواضح بين ما ذكره ، وبين الموصوفين الحرب وجماعة الخيل ، مما جعل الذهن ينتقل إلى الموصوفين المكنى عنهما بسهولة ، ولفظة حصونهم وما بعدها فيها إشارة دقيقة إلى طبائع أهل الصحراء ، فلم تكن حصونهم بروجا مشيدة ولا قلاعا محصنة بل كانت عتادًا وأسلحة وخيلا ، وهي صورة فريدة وحيدة لم تتكرر مبنى ومعنى في ديوان الخيل .

٢ـ وقال طرفة بن العبد من قصيدة يتفاخر بآبائه واصفا الخيل [١] :

وَأَنْمِي إِلَى مَجْدٍ تَلِيدٍ وَسَوْرَةٍ ... تَكُونُ تُرَاثًا عِنْدَ حَيٍّ لِهَالِكِ

أَبِي أَنْزَلَ الجَبَّارَ عَامِلُ رُمحِهِ ... عَنِ السَّرْجِ حَتَّى خَرَّ بَيْنَ السَّنَابِكِ

أنزله : حطه عن فرسه . الجبار : الشجاع . عامل الرمح : صدره . السنابك حوافر الخيل . في هذا البيت كنايتان عن موصوف ، الأولى : في قوله : " السَّرْجِ " كناية عن موصوف الجواد الذكر، وهو معنى واحد كما ترى ، والثانية في قوله: " حَتَّى خَرَّ بَيْنَ السَّنَابِكِ " كناية عن موصوف جماعة الخيل ، وهو معنى واحد كذلك ، وهكذا فإن طرفة بدل أن يقول : إن أبي لشجاعته هزم أحد الجبارين ، وأنزله مغشيا عليه

(١) ديوان طرفة ٧٣ ، وديوان الخيل ٤٧٩/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من فوق جواده حتى سقط بين خيولنا استعاض عن ذكر الجواد والخيول بهاتين الصفتين اللتين لا تنطبقان إلا عليهما ، ففيهما ذكر للشيء بدليله ، وفيهما أيضا إيجاز واختصار كما ترى ، وتأمل التقابل بين عبارة " نَزَلَ عَنِ السَّرْجِ ، وخَرَّ عَنِ السَّنَابِكِ " الذي زاد الكناية قوة وروعة ، وهما كنايتان وحيدتان فريدتان في مبناهما لم تتكررا قط .

الصورة الثانية : الكناية عن الجواد الذكر .

وهي من أكثر الكنايات عن موصوف ، حيث وردت ثمانية وعشرين مرة .

١ــ قال امرؤ القيس يصف حصان الصيد من القصيدة التي عارضه فيها علقمة [١] :

فَلأيًا بِلأيٍ ما حَمَلْنا غُلامَنا ... عَلَى ظَهْرِ مَحْبُوكِ السَّراةِ مُحَنَّبِ

لأيا بلأي : أي جهدا بعد جهد ، وفرس محبوك السراة : محكم الخلق شديد مدمج . السراة : الظهر . المحنب : الذي في يديه وصلبه انحناء ، وهو مدح للفرس إذا لم يكن اعوجاجا شديدا ، يريد الشاعر أن يقول: حملنا غلامنا بعد جهد جهيد على جواد قوي مجدول الظهر في يديه وصلبه انحناء ، فعدل عن التصريح بلفظ الجواد إلى جملة من الصفات تدل عليه ، وتختص به دون سواه ، فمجموع التركيب يشير إليه ، وليس كل معنى على حدة ؛ لأنه لو قال : " مَحْبُوك السَّراةِ " لدخل معه

(١) ديوان امرئ القيس تحقيق أبو الفضل ٥٠ ، وديوان الخيل ٩٤/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحمار الوحشي وغيره من الظباء ، فلما قال : " مُحَنَّب " انطبق الوصفان معا على الجواد ؛ لأنهما من صفاته التي اشتُهِرَ بها ، فضلا عن أن سياق الأبيات تؤكد على أن هاتين الصفتين للجواد دون سواه ؛ لأنه يتحدث عن جواد الصيد في هذه القصيدة الشهيرة .

والملاحظ أن الشاعر ذكر هنا الصفة والنسبة ، ولم يذكر الموصوف ، ولكنه توصل إلى الموصوف من خلال ذكر هذين الوصفين.

وقد اختارهما دون غيرهما ؛ لأنهما أخص صفاته في مقام المدح ، وهما يتلاءمان أشد ملاءمة مع وصف حصان الصيد الذي يطارد به الأوابد .

وهذه الكناية بعينها لم تتكرر ، لكنَّ الوصف " مَحْبوك " تكرر بمفرده ، أو مع أوصاف أخرى كناية عن الجواد الذكر في أكثر من موضع ، فقد ورد مع غيره على لسان امرئ القيس أيضا في قوله من قصيدة يصف حصانه [1] :

قَدْ غَدَا يَحْمِلُنِي فِي أَنْفِهِ ... لاحِقُ الإِطْلَيْنِ مَحْبُوكٌ مُمَرّ

أنفه : أوله وأشده ، والضمير يعود على الغيث المذكور قبلُ . لاحق : ضامر . الأيطل : الكشح . الممر : المحكم الفتل . يريد أن أرضه أخصبت بهذا المطر فخرج يرتاد أحسن مساقطه على جواد بهذه الصفات الرائعة ، فقوله " لاحِقُ الإِطْلَيْنِ مَحْبُوكٌ مُمَرّ " كناية عن موصوف ،

(١) ديوان امرئ القيس تحقيق / محمد أبو الفضل ١٤٦ ، وديوان الخيل ١/١٠٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالشاعر أراد أن يذكر جواده فانصرف عن التعبير بذكره صراحة إلى ما يدل عليه ويشير إليه من الصفات التي هي أوقع في النفس ، وأجمل في الذكر من النص عليه مباشرة ، والغرض من ذلك التركيز على هذه الصفات التي تميزه عما سواه من الجياد ، كما ورد الوصف " مَحْبُوك " مع غيره أيضا على لسان الحطيئة في قوله موجها خطابه لبني عمه (١) :

نُحَامِي وَرَاءَ السَّبْيِ مِنكُم كَمَا حَمَتْ ... أُسُودٌ ضَوَارٍ حَوْلَ أَشْبَالِهَا مُضَرْ

عَلَى كُلِّ مَحْبُوكِ الْمَرَاكِلِ سَابِحٍ ... إِذَا أُشْرِعَتْ لِلْمَوْتِ خَطِّيَّةٌ سُمِرْ

فقوله : "عَلَى كُلِّ مَحْبُوكِ الْمَرَاكِلِ سَابِحٍ " صفتان لا تختصان إلا بالجواد الذكر، ولا تنطبقان إلا عليه ؛ وبخاصة الثانية فإن السابح لا يوصف به إلا الجواد الذي يسبح في سيره على هيئة السابح في الماء ، وهي استعارة تصريحية ، وقد فُصِّلَ القول فيها في بحث بلاغة الاستعارة في ديوان الخيل .

وقد ورد الوصف " مَحْبُوك " وحده على لسان الأعشى في قوله (٢) :

فَصَبَّحَهُم بِالْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ ... وَذِي قَارِهَا مِنْهَا الْجُنُودُ فَفُلَّتِ

عَلَى كُلِّ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ ... عُقَابٌ هَوَتْ مِنْ مَرْقَبٍ إِذْ تَعَلَّتِ

(١) ديوان الحطيئة ١٠١ ، وديوان الخيل ٢٣٧/١ .

(٢) ديوان الأعشى دار صادر ٣٤ ، وديوان الخيل ٦٢/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فقوله : " عَلَى كُلِّ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ " معنى واحد كناية عن موصوف هو الجواد الذكر ؛ لأنه ذكر الصفة والنسبة ولم يذكر الموصوف ، والذي أكد على أنه يقصد الجواد شيئان : الوصف السابق " مَحْبُوكِ السَّرَاةِ " وسياق الكلام، فسياق الكلام كما يفهم من البيت السابق سياق حرب ، والخيل تعد من أهم أدواتها ، ومن ثم فالذهن لا يتطرق إلى غيره من الحيوانات ، فالسياق له دور كذلك في بيان نوع الموصوف كما ترى .

والكناية في هذا البيت والذي سبقه لها فضل على الحقيقة المجردة في أنها قدمت لنا الحديث عن الجواد مصحوبا ببعض صفاته التي تميزه عن غيره من سائر الحيوانات .

كما ورد وحده أيضا على لسان عياض الضبي من قصيدة فخرية بقوله [1] :

عَلَى ظَهْرِ مَحْبُوكٍ كَأَنَّ عِنَانَهُ أَنَافَ بِهِ جِذْعٌ بِقُرَّانَ مُشْنَقُ

العنان : سير اللجام الذي تمسك به الفرس . أناف : ارتفع وأشرف . الجذع : ساق النخلة . قران : قرية باليمامة اشتهرت بنخلها ، وقوله : " عَلَى ظَهْرِ مَحْبُوكٍ " كناية عن موصوف الجواد الذكر ؛ لأن تلك الصفة لا تنطبق إلا عليه في هذا السياق .

(١) شعر ضبة ١٨٢ ، وديوان الخيل ٦٨٤/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ــ وقال عدي بن زيد من قصيدة يصف حصان الصيد [١] :

أَهْبَطْتُهُ الرَّكْبَ أَحْبُوهُمْ أَخَا ثِقَةٍ رَحْبَ الْجَوَانِحِ صَلْتَ الْخَدِّ عَيَّارَا

الضمير في قوله : " أَهْبَطْتُهُ الرَّكْبَ " يعود على " ذي تناوير " ــ وهو الزرع الذي أدرك نوره ــ في البيت السابق في قوله :

وَذِي تَنَاوِيرَ مَمْغُونٌ لَهُ صَبَحٌ يَغْدُو أَوَابِدَ قَدْ أَفْلَيْنَ أَمْهَارَا

الركب : أصحاب الإبل خاصة ، واحدهم راكب كما يقال شارب وشرب . أخا ثقة : فرس يوثق بجودة عدوه وصبره . صلت الخد : ناعم مستو . العيار : الذي يهيم على وجهه لا يثنيه شيء ، وقوله " أَحْبُوهُمْ أَخَا ثِقَةٍ رَحْبَ الْجَوَانِحِ صَلْتَ الْخَدِّ عَيَّارَا " كناية عن موصوف وهو جواده ، وهي كناية مكونة من أربعة أوصاف ، وهذه الأوصاف مجتمعة لا تنطبق إلا عليه، ولا تشمل غيره بحال من الأحوال، وكأنها أخص صفاته وبها يتميز عن غيره من الأفراس ، كما يؤكد على ذلك السياق العام ، ومقام الكلام الذي يتحدث فيه الشاعر عن رحلة الصيد والمطاردة التي عمادها هذا الجواد .

وهذه الكناية بعينها فريدة وحيدة لم تكرر لكنَّ الوصف الأول " أَخَا ثِقَةٍ " تكرر مع أوصاف أخرى على لسان عدي بن زيد أيضا في قوله [٢]:

أَهْبَطْتُهُ الرَّكْبَ يَعْدُو بِي أَخُو ثِقَةٍ لِلنَّائِبَاتِ بِسَيْرٍ مِخْذَمِ الأَكَمِ

---

(١) ديوان عدي بن زيد العبادي ٥٥ ، وديوان الخيل ٥٦٥/٢ .

(٢) الاختيارين للأخفش ٧٤٧ ، وديوان الخيل ٥٧٣/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهبطته : الضمير يعود على المنهل السابق الذكر في قوله :

وَمَنْهَلٍ جَادَهُ الْوَسْمِيُّ يَمْنَحُهُ ... حَفَّ الْغُيُوثِ وَتَارَاتٍ مِنَ الدِّيَمِ

وقوله : " يَعْدُو بِي أَخُو ثِقَةٍ لِلنَّائِبَاتِ بِسَيْرٍ مِخْذَمِ الأَكَمِ " أوصاف لا تنطبق إلا على جوادٍ لا حمار وحش أو بعير أو غيرهما ، فذكر تلك الصفات دل على هذا الموصوف بالذات وأغنى عن ذكره صراحة ، وهي أبلغ من النص عليه في هذا المقام الذي يثني فيه على هذا الجواد الذي مكنه من بُغيته .

كما تكرر هذا الوصف أيضا مع صفات أخرى على لسان علقمة في قوله [1] :

أَخَا ثِقَةٍ لا يَلْعَنُ الْحَيُّ شَخْصَهُ ... صَبُورًا عَلَى الْعِلَّاتِ غَيْرَ مُسَبَّبِ

فقوله : " أَخَا ثِقَةٍ ، لا يَلْعَنُ الْحَيُّ شَخْصَهُ " الخ كناية عن موصوف وهو جواده والشائق المعجب في هذا البيت أن هذه الصفات المجتمعات التي هي كناية عن موصوف الجواد هي أيضا كناية عن صفتين الأولى : حسن خلق الجواد، الثانية : سمو مكانته ورفعة منزلته ، وقد سبق ذكرهما في موضعهما في مبحث الكناية عن صفة .

وبهذا تتكاثف الكنايات في البيت الواحد عن صفة وعن موصوف ، ويأخذ بعضها بحجز بعض ، وهذا يدل على براعة وشاعرية مرهفة وحس دقيق .

---

(1) ديوان علقمة بن عبدة ١٦ ، وديوان الخيل ٥٨٨/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا ، ويجوز في عبارة " أَخَا ثِقَةٍ " في الأبيات السابقة أن تكون تشبيها بليغا حيث شبه الجواد المحذوف في اللفظ بالأخ الثقة ، كما يجوز أن تكون العبارة استعارة تصريحية صرح فيها بالمشبه به ، ولكن كونها كناية أوقع وهو ما أميل إليه ؛ لأن الصفة " أَخَا ثِقَةٍ " لا تراد لذاتها بل يراد منها ما وراءها وهو الموصوف ، وكذلك الصفات التالية لها لا تراد لذاتها بل للإشارة إلى ما وراءها .

وقريب من الوصف " أَخَا ثِقَةٍ " جاء الوصف " أَخُو الصُّعُلُوكِ " مع أوصاف أخرى على لسان عامر بن الطفيل في قوله [1] :

وَنِعْمَ أَخُو الصُّعْلُوكِ أَمْسِ تَرَكْتُهُ بِتَضْرُوعَ يَمْرِي بِالْيَدَيْنِ وَيَعْسِفُ

أخو الصعلوك : يعني به فرسه . يمري بيديه : يحركهما كالعابث ، والضمير في يمري يعود على الفرس المفهوم من السياق . يعسف : ترجف حنجرته من النَّفَس. فقوله : " وَنِعْمَ أَخُو الصُّعْلُوكِ " الخ كناية عن موصوف الجواد الذكر ، والمكني به هنا مكون من أوصاف متعددة ، الأول : " أَخُو الصُّعْلُوكِ "، والثاني: " يَمْرِي بِالْيَدَيْنِ "، والثالث : " يَعْسِفُ " وكلها من خصائص الجواد، ولا تنطبق مجتمعة إلا عليه كما يقول البلاغيون في تحديد ماهية هذه الكناية ، وبلا شك فإن ذكر الجواد عن طريق هذه الصفات أقوى وأرسخ من ذكره مجردا ، وهذه الكناية تفردت في مبناها لم تتكرر البتة.

(١) ديوان عامر بن الطفيل ٨٦ ، وديوان الخيل ٥١٥/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد جاء قريب منها على لسان عبد المسيح بن عسلة الغساني في قوله [1] :

بِأَكْرَتِهِ قَبْلَ أَنْ تَلْقَى مَصَافِرُهُ مُسْتَخْفِيًا صَاحِبِي وَغَيْرُهُ الْخَافِي

الضمير في قوله : " باكرته " يعود على لفظة " عَازِبٍ " في قوله قبل :

وَعَازِبٍ قَدْ مَلا التَّهْوِيلُ جَنْبَتَهُ لا تَنْفَعُ النَّعْلُ فِي رَقْرَاقِهِ الْحَافِي

تلغى: تصيح . مستخفيا صاحبي : أي : فرسي أخفيه لئلا يعلم به الوحش . غيره الخافي : أي مثله لا يخفى لطوله وعلوه ، فقوله : " مُسْتَخْفِيًا صَاحِبِي وَغَيْرُهُ الْخَافِي " كناية عن موصوف ، وهو الجواد كنى عنه بشيئين " صَاحِبِي وَغَيْرُهُ الْخَافِي " وهما وصفان لا يختصان إلا به ، ولا ينطبقان إلا عليه في هذا السياق بالذات ، وهي صورة فريدة وحيدة لم تتكرر في مبناها .

٣ـ وقال ثَعْلَبَةُ بنُ صُعَيْرٍ يصف الخيل من قصيدة يشيد فيها بصلابة بأسه [2] :

وَمُغِيرَةٍ سَوْمَ الْجَرَادِ وَزَعْتُهَا قَبْلَ الصَّبَاحِ بِشَيْظَمٍ ضَامِرِ

مغيرة : القوم يغيرون بخيولهم . سوم الجراد : تمضي مضي

---

(١) المفضليات ٢٨٠ ، وديوان الخيل ٥٤٤/٢ .

(٢) المفضليات ١٣١ ، وشعر بني تميم في العصر الجاهلي ٣٨٣ ، وديوان الخيل ١٧٧/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجراد في السرعة والكثرة ، يشبه كثرتهم واندفاعهم في الغارة بكثرة واندفاع الجراد . وزعتها : كففتها . الشيئان : الشديد النظر الكثير الاشتراف ، يريد الشاعر أن يقول : إنه كف هذه الغارة المريعة بجواد يتصف بحدة النظر والارتفاع والضمور ، فعدل عن التصريح بالموصوف إلى قوله :" بِشَيْئَانِ ضَامِرِ " حيث ذكر صفتين لا تصدقان إلا عليه ، وهاتان الصفتان مجتمعتان مع سياق البيت أيضا يدلان على هذا الموصوف دون سواه وبهما توصل الشاعر إلى غرضه ، وهذا بلا شك أقوى في المعنى ، وأبلغ مما لو نُصَّ على الجواد من أول الأمر مجردا من تلك الصفات ، فهو بذلك قدم لنا الموصوف مصحوبا بما يتميز به من صفات فرسخت صورته في الذهن وتقررت هيئته في النفس وهذه الصورة فريدة وحيدة لم تتكرر بحذافيرها ، لكنَّ الوصف الثاني " ضَامِر " تكرر مع وصف آخر على لسان ضِرَارِ بنِ الأَزْوَرِ في قوله يعير فيها عامر بن الطفيل [1] :

وَأَسْلَمْتَ عَبْدَ اللهِ لَمَّا عَرَفْتَهُمْ ... وَنَجَّاكَ وَثَّابُ الْجَرَاثِيمِ ضَابِرُ

الجراثيم : جمع جرثومة ما ارتفع عن الأرض، وقوله: " وَنَجَّاكَ وَثَّابُ الْجَرَاثِيمِ ضَامِرُ " كناية عن موصوف وهو الجواد الذي فر عليه عامر من هذه الموقعة ، وهذان الوصفان اللذان كنى بهما عن تلك الذات

(١) ديوان الحماسة للبحتري ٧٠ ، وشعر قبيلة أسد ٤٠٤ ، وديوان الخيل ٤٦٢/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا ينطبقان إلا على الجواد ، وبخاصة في هذا السياق ، فإن الذي ينجو عليه الشاعر في المعركة بداهة لا يكون إلا الجواد المتصف بهاتين الصفتين ، لا حمر الوحش أو الظباء ، وهذا هو المعجب في تلك الكناية التي توصل إليها الشاعر عن طريق هذا التلازم الذهني بين المكنى به المذكور والمكني عنه المتوارى ، وانتقاء هاتين الصفتين دون غيرهما متلائم جدا ومتناسب جدا؛ لأنه لا يُنَجِّي من الجياد في هذا القتال إلا من كان وثابا ضامرا خفيفا رشيقا يعدو بسرعة شديدة ليمكن صاحبه من الفرار من أعدائه ، وهي صورة وحيدة فريدة في مبناها .

٤ـ وقال أبو طالب يصف خيله من قصيدة يخاطب فيها بني لُؤي [1] :

فَإِنْ كُنْتُمُ تَرْجُونَ قَتْلَ مُحَمَّدٍ ... فَرُومُوا بِمَا جَمَّعْتُمُ تَقْلَ يَذْبُلِ

فَإِنَّا سَنَحْمِيهِ بِكُلِّ طِمِرَّةٍ ... وَذِي مَيْعَةٍ نَهْدِ الْمَرَاكِلِ هَيْكَلِ

الطمرة : الفرس الطويلة القوائم الوثابة . ميعة الفرس : أول جريه . النهد الجسيم المشرف . الهيكل : الضخم المرتفع الذي يشبه هيكل النصارى وهو استعارة مضى الوقوف عندها في بحث بلاغة الاستعارة في ديوان الخيل .

في هذا البيت كنايتان الأولى في قوله : " سَنَحْمِيهِ بِكُلِّ طِمِرَّةٍ " وهو كناية عن موصوف الفرس الأنثى ، وهي كناية قريبة ذات معنى

---

(١) ديوان أبي طالب ٦-٧ ، وديوان الخيل ٤٧٣/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واحد ، وهذا الوصف ألصق بها دون غيرها من الحيوانات ، وقد ورد كثيرا جدا على ألسنة الشعراء في ديوان الخيل ، والثانية في قوله : " وَذِي مَيْعَةٍ نَهْدِ الْمَرَاكِلِ هَيْكَلِ " كناية عن موصوف الجواد الذكر ، ولكنها كناية مستمدة من أوصاف متعددة ، ومجموع هذه الصفات المذكورة لا تستلزم إلا موصوفا واحدا تصدق عليه ، ولا تنطبق على غيره ، ولا يصح أن يراد بالثاني الفرس الأنثى وإلا لقال بذي ميعة نهدة المراكل هيكلة .

ويلاحظ أن السياق في كلتا الكنايتين يؤازر هذه الأوصاف مؤازرة واضحة ويستبعد تماما أن تكون هذه الصفات لغير الفرس الأنثى والجواد الذكر .

وقد ورد على منوال هذه الكناية الثانية صور كثيرة بصياغات متقاربة نعرضها إجمالا خشية التطويل، قال عنترة بن شداد من قصيدة مفتخرا بنفسه واصفا جواده [1] :

وَلَرُبَّ مُشْفِلَةٍ وَزَعْتُ رِعَالَهَا ... بِمُقَلَّصٍ نَهْدِ الْمَرَاكِلِ هَيْكَلِ

وقال دريد بن الصمة من قصيدة يفخر بشجاعته واصفا جواده [2]:

قِرَاهَا إِذَا بَاتَتْ لَدَيَّ مُفَاضَةٌ ... وَذُو خُصَلٍ نَهْدُ الْمَرَاكِلِ هَيْكَلُ

(١) شرح ديوان عنترة ١٠٠ ، وديوان الخيل ٦٤١/٢ .

(٢) ديوان دريد ١٤٤ ، وديوان الخيل ٣٠٥/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال الأعشى من قصيدة يمدح قبيلته ويذكر خيولهم التي أعدت للحرب [1] :

فَمَنْ فِيهِمُ مِنْ شَطْبَةٍ وَمُقَلَّصٍ نَهْدِ الْمَرَاكِلْ [2]

وقال أبو دؤاد من قصيدة وصف فيها حصانه بصفات رائعة [3] :

وَقَدْ أَرَانِي أَمَامَ الْحَيِّ مُكْتَئِنًا ثُغْرًا بِهِ مِنْ دَوَاعِي الْمَوْتِ تَثْوِيبُ

أَرْمِي أَجِمَّتَهُ وَحْدِي وَيُؤْنِسُنِي نَهْدُ الْمَرَاكِلِ صَلْتُ الْخَدِّ مَنْسُوبُ

وقال مالك بن حمار يصف جواده من مقطوعة نظمها يوم شعب جبلة [4] :

يَغْدُو بِبَزِّيَ سَابِحٌ ذُو مَيْعَةٍ نَهْدُ الْمَرَاكِلِ ذُو تَلِيلٍ أَقْوَدُ

وقال مُرَّةُ بنُ الرَّوَاعِ من مقطوعة يصف جواده [5] :

---

(١) ديوان الأعشى دار صادر ١٥٧ ، وديوان الخيل ٦٨/٢ .

(٢) شطبة : فرس طويلة ، وهي كناية من معنى واحد عن الفرس الأنثى . مقلص : طويل القوائم .

(٣) ديوان أبي دؤاد ٢٩٤، ٢٩٥ ، والخيل لأبي عبيدة ٢٨٨ ، وديوان الخيل ٣١٥/١ .

(٤) النقائض ٢/ ٦٧٤ ، ومعجم المرزباني ٢٥٩ ، وديوان الخيل ٧٤٦/٢ .

(٥) المؤتلف والمختلف للآمدي ١٨٦ ، وشعر قبيلة أسد ٢٣٨ ، وديوان الخيل ٧٧٥/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَقَدْ أَقُودُ لِغَيْثٍ لا أَنِيسَ بِهِ ... إِلاَّ البَعُوضُ وَإِلا الأَزْرَقَ الهَزِجَ

نَهْدَ المَرَاكِلِ يَطْوِيهِ وَيَرْكَبُهُ ... حَتَّى يُكَفَّتَ عَنْ مُصْرَانِهِ الفَشِجَ

وقال زهير بن مسعود من مقطوعة مفتخرا واصفا جواده (١) :

وَقَدْ غَدَوْتُ أَمَامَ الحَيِّ يَحْمِلُنِي ... نَهْدُ المَرَاكِلِ فِي أَقْرَابِهِ بَلَسُ

وقال أبو الطمحان القيني يصف جواده من قصيدة جاهلية (٢) :

وَمُطْنِبَةٍ رَهْوٍ وَزَعْتُ رَعِيلَهَا ... عَلَى مُشْرِفِ القُطْرَيْنِ نَهْدِ المَرَاكِلِ

وكل هذه الصفات السابقة تختص بموصوف واحد هو الجواد الذكر، ولا تنطبق إلا عليه ، مع ملاحظة دور السياق في جميع هذه المواضع في التأكيد على الموصوف.

٥ ــ وقال أوس بن حجر يصف الخيل من قصيدة فخرية (٣) :

فَأَعْقَبَ خَيْرًا كُلُّ أَهْوَجَ مِهْرَجٍ ... وَكُلُّ مُفَدَّاةِ العُلالَةِ صِلْدِمِ

أعقب خيرا : أعقبتهم خيلهم هذه خيرا بما قاموا عليها وصنعوها . الأهوج : الجواد الذي يركب رأسه . مهرج : هرج الفرس يهرج هرجا إذا كان كثير الجري ، العلالة : الجري الذي بعد الجري الأول فيقال لها إذا طَلَبْتَ عُلالَتَهَا وَيْهًا فداء لك . صلدم : الفرس القوية الصلبة الشديدة .

---

(١) الحماسة البصرية ١/ ٩٧ ، وقصائد جاهلية نادرة ٩٦ ، وديوان الخيل ٣٨٧/١ .

(٢) قصائد جاهلية نادرة ٢١٧ ، وديوان الخيل ٤٩٩/٢ .

(٣) ديوان أوس بن حجر ١٢٠ ، والمعاني الكبير ٨٤ ، وديوان الخيل ١٤٠/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في هذا البيت كنايتان : الأولى : كناية عن موصوف هو الجواد الذكر في قوله " كُلُّ أَهْوَجَ مِهْرَجٍ " والثانية : كناية عن موصوف أيضا ولكنه الفرس الأنثى في قوله : " وَكُلُّ مُقَدَّاةِ الْعُلالَةِ صِلْدِمِ " وهو يشير بتنوع هاتين الكنايتين إلى أن هذا الجيش يضم بين صفوفه هذين الصنفين من الخيول ، ولكل جنس سمات خاصة تميزه عن غيره ، وبكلٍ يتحقق النصر على أعدائه .

والشاعر آثر ذكر هذه الصفات التي كَنَتْ عن هذين الموصوفين دون النص عليهما صراحة ؛ لأن هذه الأوصاف من أخص صفاتهما من وجهة نظره عند افتخاره بهما ، وهذا يجعل الكناية أوقع في النفس ، وأكثر تأثيرا على الوجدان مما لو ذكر الموصوفين صراحة ، وهما كنايتان فريدتان وحيدتان لم تتكررا في مبناهما .

٦ــ وقال خداش بن زهير يصف الخيل من قصيدة يهجو فيها بني تيم [1] :

يَعْدُو بِنَا كُلُّ مَعْصُوبٍ أَسَافِلُهُ وَكُلُّ شَعْثَاءَ بِالوَعْثَاءِ مِحْضِيرِ

معصوب : أي كل حصان قد عُصب أي شد أسفله بالعصابة .

الوعثاء : ما غابت فيه الحوافِرُ والأَخفافُ من الرمل الدقيق والدَّهاسِ من الحصى الصغار وشبهه . محضير : كثير العدو .

في هذا البيت كنايتان الأولى : في قوله : " يَعْدُو بِنَا كُلُّ مَعْصُوبٍ

(١) شعر خداش بن زهير ٧٦ ، وديوان الخيل ٢٥٦/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أَسَافِلُهُ " وهو كناية عن موصوف الجواد الذكر ، والثانية في قوله : " وَكُلُّ شَعْثَاءَ بِالوَعْثَاءِ مِحْضِيرِ" كناية عن موصوف هو الفرس الأنثى ، وهذه الصفات المذكورة في هاتين الكنايتين لا تختص إلا بهما، ولا تنطبق إلا عليهما، ولذلك انتقل الذهن منهما بسهولة إلى تلك الذات الموصوفة في الكنايتين ، وهما كنايتان فريدتان وحيدتان لم تتكررا في مبناهما كذلك.

٧ــ وقال أوس بن حارثة الطائي يصف الخيل من مقطوعة (١) :

وَنَحْنُ ضَرَبْنَا الْكَبْشَ مِنْ فَرْعِ وَائِلٍ ... بِأَسْيَافِنَا حَتَّى اشْتَكَى أَلَمَ الْحَدِّ

غَدَاةَ لَقِينَاهُمْ بِسَفْحِ عُنَيْزَةٍ ... بِكُلِّ خَبِيبِ الرِّجْلِ والأَشْعَثِ الْوَرْدِ

عنيزة : موضع بناحية نجد . خبيب : من الخبب وهو ضرب من السير السريع الأشعث الورد : الجواد الذي تعلو لونه غبرة ، وقوله : " بِكُلِّ خَبِيبِ الرِّجْلِ " كناية عن موصوف هو الجواد ، وكذلك الحال في قوله : " والأَشْعَثِ الْوَرْدِ " كناية عن موصوف آخر هو الجواد الذكر كذلك .

يريد الشاعر أن يقول : لقينا أعداءنا بسفح عنيزة بكل جواد يتسم بأنه يخب برجليه خبا ، وبكل جواد أشعث ورد فترك ذكر هذين الموصوفين صراحة ، ودل على كل واحد منهما بصفة هي ألصق به من غيره ، ولا ننسى أيضا ما للسياق هنا من دور واضح في توجيه الذهن إلى الجواد دون غيره من الحيوانات ، وهما كنايتان قريبتان سهلتان مأخونتان من

(١) شعر طيئ وأخبارها في الجاهلية والإسلام ٢/ ٣٣٧ ، وديوان الخيل ١٣٤/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وصف واحد لكل جواد ، وقد تفردتا في مبناهما فلم تتكررا .

٨ ـ وقال امرؤ القيس من قصيدة يصف خيلا متنوعة [١] :

وَخَرْقٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفْرٍ مَضَلَّةٍ قَطَعْتُ بِسَامٍ سَاهِمِ الْوَجْهِ حُسَّانِ

خرق : الصحراء المهلكة . العير : الحمار الوحشي ، وجوفه لا يؤكل ولا ينتفع به إذا صيد فهو مَثَلٌ في القفر . السامي : المشرف المرتفع . الساهم : القليل لحم الوجه . الحسان : الحسن ، وقوله : " بِسَامٍ سَاهِمِ الْوَجْهِ حُسَّانِ " كناية عن موصوف ، وهو الجواد الذكر ، والصفات الثلاث التي كنى بها عن هذا الموصوف لا تختص إلا به ، ولا تنسحب إلا عليه دون غيره من الحيوانات فانتقل الذهن إليه بيسر وسهولة ، وهي كما ترى كناية مكونة من أكثر من وصف ، وعلى الرغم من ذلك فهي قريبة في مغزاها ، وقد تفردت في مبناها فلم تتكرر .

٩ـ وقال أبو طالب يصف الخيل من قصيدة يخاطب فيها بني هاشم [٢] :

يَا قَوْمُ ذُودُوا عَنْ جَمَاهِرِكُمْ بِكُلِّ مِقْصَالٍ عَلَى مُسْبِلِ

ذودوا : امنعوا وحاموا . المقصال : السيف القاطع ، والمراد بكل فارس حازم حاسم كالسيف القاطع على سبيل الاستعارة التصريحية . مسبل : صفة للفرس الطويل الذيل ، وهي كناية عن موصوف الجواد

---

(١) ديوان امرئ القيس تحقيق أبو الفضل ٩١ ، وديوان الخيل ١٢٢/١ .

(٢) ديوان أبي طالب ٧٥ ، وديوان الخيل ٤٧٣/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذكر ، ويلاحظ أن المكني به " مُسنبِل " معنى واحد لا ينسحب إلا على الجواد ولا يختص إلا به كموطن الأسرار في قول أبي نواس:

فَلَمَّا شَرِبْنَاهَا وَدَبَّ دَبِيبُهَا إِلَى مَوْطِنِ الأَسْرَارِ قُلْتُ لَهَا قِفِي

كما يلاحظ أن الاستعارة هنا تعاضدت مع الكناية في رسم لوحة بارعة للفارس وجواده لأن الفارس الحاسم الحازم لا يذود عن قومه إلا إذا كان على ظهر جواد ، وليس على ناقة أو حمار ، فدل السياق مع هذه الصفة على المراد ، وهي كناية فريدة في مبناها .

١٠ــ وقال زهير بن أبي سلمى من قصيدة يصف حصان الصيد (١) :

فَرُحْنَا بِهِ يَنْضُو الْجِيَادَ عَشِيَّةً مُخَضَّبَةً أَرْسَاغُهُ وَعَوَامِلُهْ (٢)

بِذِي مَيْعَةٍ لا مَوْضِعُ الرُّمْحِ مُسْلِمٌ لِبُطْءٍ وَلا مَا خَلْفَ ذَلِكَ خَاذِلُهْ

موضع الرمح : كاثبة الفرس ، وهي قدام القربوس . مسلم : لا يخذله . أراد أن مقدمَه لا يخذل مؤخره ، ومؤخره لا يخذل مقدمه ، وقوله : " لا مَوْضِعُ الرُّمْحِ مُسْلِمٌ لِبُطْءٍ وَلا مَا خَلْفَ ذَلِكَ خَاذِلُهْ " كناية عن

(١) شعر زهير صنعة الأعلم الشنتمري ٥٥ ، وديوان الخيل ٣٧٤/١ .

(٢) رحنا به : رجعنا عشيا بالفرس. ينضو الجياد : ينسلخ منها ويتقدمها ، وإنما يعني أن طراده الوحش لم يكسر من حدته ونشاطه . مخضبة أرساغه : يعني الغلام لما طعن العير ثار الدم إلى قوائم الفرس فخضبها . عواملة : قوائمه ؛ لأنها تحمله وَحَمْلها عملٌ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موصوف ، وهو كاثبة الجواد المتحدث عنه في البيت السابق .

ويلاحظ أن الشاعر لم ينص عليها مباشرة بل ذكر صفات تستلزم هذا الموصوف وتستوجبه فكنى بهذه الصفات عن تلك الذات كاثبة الفرس ، والكناية هنا آكد وأبلغ وأشد تأثيرا من ذكر الموصوف للوهلة الأولى كما يبدو بوضوح ، وهي الكناية الوحيدة في ديوان الخيل عن موصوف عضو من أعضاء الفرس " كاثبة الفرس " .

وبعد ، فيلاحظ في الكنايات السابقة أنها جلها جاءت مركبة من أوصاف متعددة وهذا بوجه عام أقوى من الكنايات المستمدة من وصف واحد ، كما يلاحظ أن بعض الأوصاف مثل : " مَحْبُوك " ، " أخو ثقة " ، " ضامر " ، " نهد المراكل " كانت القاسم المشترك مع صفات أخرى في التوصل للموصوف ، كما كان للسياق أيضا في كثير من هذه المواضع دور مع تلك الصفات في تحديد الموصوف ، كما يلاحظ أن بعض الأبيات قد تكاثفت فيها الكنايات حيث احتوت على كنايتين عن جواد وعن فرس أنثى .

الصورة الثالثة : الكناية عن الفرس الأنثى ، ووردت في خمسة مواضع[1] .

---

(١) مضت أربعة مواضع مشتركة مع الجواد الذكر ، وهذا هو الموضع الخامس .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ قال مالك بن زغبة الباهلي من قصيدة فخرية يصف الفرس (١)

وَذَاتِ مَنَاسِبٍ جَرْدَاءَ بِكْرٍ كَأَنَّ سَرَاتَهَا كُرٌ مَشِيقُ

ذات مناسب : فرس لها من قبل آبائها وأمهاتها نسب رفيع ، يريد أنها كريمة الأبوين عتيقة ماجدة . بكر : لم تحمل قط فيضعفها الحمل . الكر : حبل من ليف ، وجمعه كرور . المشيق : الذي يُدَلَّك إذا فُتل حتى يذهب زئبره ، وما عليه . شبه متنها في ملاسته بحبل نُزِعَ زئبره فبدت ملاسته .

وقوله : " وَذَاتِ مَنَاسِبٍ جَرْدَاءَ بِكْرٍ كَأَنَّ سَرَاتَهَا " كناية عن موصوف الفرس الأنثى ؛ لأن هذه الأوصاف المتعددة لا تنطبق إلا عليها دون غيرها من الحيوانات مع ملاحظة دلالة السياق التي تنص على ذلك نصا .

وآثر الشاعر ذكر الفرس الأنثى بهذه الصفات دون ذكرها صراحة ليومئ إلى تميزها بتلك الصفات ، وكأنها علم عليها وعنوان لها لا تعرف إلا بها ، وهذا هو سر التعبير بتلك الكناية في مقام الفخر والمماجدة ، وهي كناية فريدة وحيدة لم تتكرر قط .

وبعد ، فمن يتأمل في جميع مواضع الكنايات عن موصوف بمختلف أنواعه يجد أنها كنايات تكاد تقترب من الحقيقة لسهولة استخراجها وقرب استنتاجها ، كما يلاحظ أن الصفات فيها أرشدت عن

(١) الاختيارين للأخفش ٢٠٠ ، وديوان الخيل ٧٤٩/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموصوف إرشادا واضحا لشدة اختصاصها ولصوقها بالموصوف ، كما يلاحظ أيضا أن الكناية عن الفرس الأنثى يأتي معها في الغالب ، وفي البيت نفسه كناية أخرى عن الجواد الذكر كما مر بنا في الأمثلة السابقة وهي تكاد تشكل ظاهرة أسلوبية واضحة ، كما يلاحظ كذلك أن الجواد الذكر قد حظي بنصيب وافر من تلك الكنايات تلاه الفرس الأنثى ثم جماعة الخيل ثم كاثبة الفرس .

كما يلاحظ أيضا أن هذه الكنايات لم تبلغ في البلاغة مدارج الكناية عن صفة ، وأنها تكاد تخلو من اللمسات الفنية والخصوصيات التعبيرية التي وجدناها هناك ، ولا نتجنى هنا على الجاهليين فهذه سمة عامة في تلك الكنايات لمن يتأملها في كتب البلاغة شعرا ونثرا ، يقول د/ أبو موسى « ليس فيها من الاعتبارات البلاغية ما في الكناية عن صفة ونسبة وإن كانت لا تخلو من دقائق لطيفة »[1] ، ولكنها على كل حال أفضل من الحقيقة المجردة وأروع إذا صادفت مقامها وتلاءمت مع سياقها ، ومن ثم فإن هذه الكنايات على تلك الحال تصلح كلها لأن تكون شواهد في كتب البلاغة بدلا من المُثُل المصطنعة ـ كمثال السكاكي السابق ـ التي يجب تركها ، والعودة إلى هذا الرواء العذب في أدبنا .

* * *

(١) التصوير البياني د/ محمد أبو موسى ٤٠٩ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث : بلاغة الكناية عن نسبة في ديوان الخيل في الجاهلية.

وضابط الكناية عن نسبة أن نذكر الصفة ونصرح كذلك بالموصوف إلا أننا لا ننسب هذه الصفة المذكورة في الكلام إلى صاحبها مباشرة وإنما ننسبها إلى شيء آخر لا يصلح أن تُنسب إليه تلك الصفة مما يعني في العقل أننا نريد صاحبها ، وقد أوردت كتب البلاغة أمثلة عديدة على ذلك منها قول زياد الأعجم :

إنَّ السَّماحَةَ وَالمُروءَةَ وَالنَّدى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَت عَلى ابنِ الحَشرَجِ

فقد نسب السماحة والمروءة والندى لقبته ، والمراد نسبتها له مبالغة في كمال هذه الصفة فيه ، ومنها قول أبي نواس :

فَما جازَهُ جودٌ وَلا حَلَّ دونَهُ ... وَلَكِن يَصيرُ الجودُ حَيثُ يَصيرُ

ومن يتأمل ديوان الخيل يجد أن الكناية عن نسبة جاءت قليلة جدا فلم أعثر إلا على صورة واحدة وردت على لسان الجميح الأسدي يصف جواده من قصيدة معيرا بني عامر بفرارهم بقوله (١) :

لو خافَكُم خالِدُ بنُ نَضلَةَ نَـ ... ـجَّتهُ سَبُوحٌ عِنَانُها خَذِمُ

الخذم : المسرع ، وقوله : " عِنَانُها خَذِمُ " كناية عن سرعة الفرس فقد نسب السرعة للعنان ، والمراد نسبة السرعة للفرس نفسها على سبيل الكناية عن نسبة ؛ لأنه يستحيل عقلا وبداهة أن يكون العنان

(١) المفضليات ٤٢ ، وشعر قبيلة أسد ١٧٣ ، وديوان الخيل ١٩٠/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هو السريع فحسبه أن ينتقل الذهن إلى دلالة أخرى تكون أوفق بالمراد ، ويتحقق فيها التلاؤم وعدم التنافر ، وهو سرعة الفرس ذاته .

ويلاحظ أن المضى الأصلي هنا غير ممكن الحدوث ؛ لأن الضمان الموضوع على ظهر الفرس يستحيل أن يسرع ؛ لأنه جماد لا حول له ولا طول ، وهذا عائد لذات الأسلوب ، وليس لطبيعة القرينة الكنائية كما بينا أكثر من مرة .

وأثر الشاعر الكناية هنا على الحقيقة ؛ لأن فيها ـ كما نحس ـ سابقة مستحبة وتصوير رائع وعجيب لسرعة فرسه ، فإذا كان ضمان الفرس مسرعا فما بالك بها نفسها ؟! ، وفيها أيضا تحسين للأسلوب وتزيين له بما يجعله مؤثرا بقوة في النفس عن تلك الحقيقة المجردة لو قال : ' نجنه سبوح مسرعة ' ، علاوة على ما فيها من تصوير للمضى بإقامة الحجة والبرهان على صحته .

وقد أكد على قيمة هذه الكناية ، وأثرها الخلاب في النفس على الحقيقة إمام البلاغيين عبد القاهر في قوله : « هذا فن من القول دقيق المسلك لطيف المأخذ وهو أنا نراهم كما يصنعون في نفس الصفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية والتعريض ، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب ، وإذا فطنوا لذلك بدت هناك محاسن تملأ الطرف ودقائق تعجز الوصف ، ورأيت هناك شعرًا شاعرًا ، وسحرًا ساحرًا ، وبلاغة لا يكمل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لها إلا الشاعر المفلق ، والخطيب المصقع .... » (١)

ولعلك أدركت ما لهذه الصورة من رونق وبهاء وقوة وخلابة بعد هذا النص الذي صورها به الإمام ، ولكنها للأسف لم تكثر في ديوان الخيل ، وليس هذا بغريب ؛ لأنها بطبيعتها قليلة في الشعر الجاهلي خاصة والعربي عامة على حد علمي .

* * * * *

* * *

*

(١) دلائل الإعجاز تحقيق شاكر ٣٠٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

وبعد ، فقد عرضنا لأنواع الكنايات المختلفة في ديوان الخيل كله ، واستقصيناها قدر الجهد والطاقة، ولم نترك منها شيئا عامدين، وما فاتنا كان عن غير قصد ، وفوق كل ذي علم عليم ، وقد تبين لنا بعد هذا التطواف في بلاغة الكناية في ديوان الخيل عدة حقائق وظواهر تركيبية وأسلوبية نجملها بإيجاز :

أولا ـ الكناية في ديوان الخيل تأتي في المرتبة الثالثة من حيث الكم بعد التشبيهات والاستعارات حيث بلغت جملة الكنايات بمختلف أقسامها ١٩٤ كناية .

ثانيا ـ كَثُرت الكناية عن صفة في ديوان الخيل ، وهذا شأنها في الشعر بوجه عام لمن يتأمله ، وقد بلغ ما حصرته منها " ١٥٨ " كناية ما بين حسية ومعنوية .

بلغ نصيب الكنايات الحسية " ٥٩ " كناية كان أكثرها عددا الكناية عن شدة المعركة حيث وردت في "١٩" موضعا ، ثم الضمور "١١ " موضعا ، وهما أكثر الكنايات الحسية ورودًا في ديوان الخيل ، ثم الطول "٧ " مواضع ، ثم التعب "٥ " مواضع ، ثم طول العنق "٤" مواضع ، ثم حدة النظر "٣ " مواضع ، ثم سرعة الخيل موضعين، وكذلك قوة الجسمان، ووردت مرة واحدة للاعتدال، والروعة ، والخيلاء ، وملاسة الحسي .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبلغ نصيب الكنايات المعنوية " ٩٩ " كناية كان أكثرها عددا الكناية عن إكرام الخيل ، ووردت " ٣٢ " مرة ، ثم الكناية عن النشاط " ٢٠ " مرة ، وهما أكثر الكنايات ترددا في هذا الديوان ، وهذا ينم عن أن الكناية عن الإكرام والنشاط من الصفات الأساسية التي يتعشقها الفرسان الشعراء في خيولهم ، ويركزون على تصويرها بعبارات كنائية شتى ، ثم سلاسة الخيل "٨ " مرات ، وشجاعة الفرسان "٨ " مرات ثم صبر الخيل " ٦ " مرات ، ثم وفاء الخيل " ٥ " مرات ، ثم سمو مكانة الخيل " ٣ " مرات ، ثم شجاعة الخيل مرتين ، ثم إهمال الخيل مرتين ، ثم الاستعداد للحرب مرتين وكذا الحال في الأسر ، والانتصار في المعركة .

ثم الكناية عن كرم الفرسان مرة واحدة ، ومثلها الكناية عن الزعامة وجبن الفرسان ونجاة الفرسان .

ثالثا ــ تركزت الكنايات الحسية عن صفة على وصف جملة الفرس ، ووصف بعض أعضائه ، ووصف ما يتعلق به غير هذين ، كما تراوحت الكنايات الحسية بين كنايات مفردة قريبة ، وكنايات مركبة بعيدة ، ولكنَّ المركبة أكثر ، وكلاهما تميز بالسهولة والبعد عن التكلف والتعقيد كسهولة طبائع أهل الجاهلية .

رابعا ــ تركزت الكنايات المعنوية عن صفة على وصف الخيل ، ووصف الفرسان ، وتميزت المعنوية عن الحسية بأنها أقوى وأروع وأبلغ؛ وكانت قرائح الشعراء فيها وقادة، وصنعتهم الشعرية أعلى وأرهف، وهكذا حال الأمور العقلية المتولدة من معاني حسية ، وتفضيل الكنايات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعنوية على الحسية لا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه ولكنه الغالب فكم من كنايات حسية اقتضاها المقام كانت أروع وأجلى ، وأدق وأحلى ، وفي القرآن العظيم كنايات حسية كثيرة هي قمة الإعجاز والإيجاز والمبالغة .

خامسا ـ أوضح البحث أن الكنايات المعنوية المركبة كانت أكثر من الكنايات المعنوية المفردة ، وهذا بلا شك جعل الكنايات المعنوية أكثر قوة وتأثيرا وإقناعا ، كما جعلها متفردة في معظم صورها ؛ لأن التراكيب قليلة الورود على الأذهان فمجال التوارد والسلخ منها نادر عكس الكنايات المفردة فقد تتوارد بكثرة على قرائح الشعراء .

سادسا ـ تآزر التشبيه والاستعارة في بعض صور الكنايات المعنوية في رسم لوحات متناسقة ورائعة للخيل تهفو إليها النفوس ، وتشرأب لها الأعناق ، وقد زاد هذا الكناية المعنوية براعة وحلاوة بخلاف الكنايات المجردة منهما كما أوضحنا هناك .

سابعا ـ أظهر البحث في أكثر من موضع أن المعنى الحقيقي يستحيل حدوثه لخصوصية في بعض التراكيب لا لذات القرينة كما هو معلوم .

ثامنا ـ جاءت الكناية عن الموصوف في المرتبة الثانية من حيث العدد حيث وردت في "٣٥ " موضعا ، كان أكثر الكنايات عن موصوف الكناية عن الجواد الذكر ووردت في " ٢٧ " موضعا ، ثم الكناية عن الفرس الأنثى في خمسة مواضع ، ثم الكناية عن جماعة الخيل في موضعين ، ثم كائبة الفرس في موضع واحد .

تاسعا ـ تتسم جميع الكنايات عن موصوف بأنها تكاد تقترب من الحقيقة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

؛ لسهولة استخراجها وقرب استنتاجها ، كما يلاحظ أن الصفات فيما أرشدت عن الموصوف إرشادا واضحا لشدة اختصاصها ولصوقها بالموصوف .

عاشرا – أظهر البحث أهمية السياق في التأكيد على أن الصفات المذكورة لا تنطبق إلا على الخيل دون غيرها ومن دون السياق في بعض المواضع ربما لا يتطرق الذهن إليه.

حادي عشر – كشف البحث عن أن الكناية عن الفرس الأنثى تأتي غالبا في البيت نفسه مع كناية أخرى عن الجواد الذكر ، وهذا يكاد يشكل ظاهرة أسلوبية واضحة .

ثاني عشر– تميزت الكناية عن موصوف بمختلف أنواعه أنها جاءت في معظمها مركبة من أكثر من وصف ، ومن ثم جاءت في معظمها متقاربة الصياغة أو فريدة وحيدة لم تتكرر .

ثالث عشر – أظهر البحث أن الكنايات عن موصوف لم تبلغ في البلاغة مدارج الكناية عن صفة ، وأنها تكاد تخلو من اللمسات الفنية والخصوصيات التعبيرية ، ولكنها على كل حال أفضل من الحقيقة المجردة وأروع إذا صادفت مقامها .

رابع عشر – أبان البحث أن الكناية عن نسبة من الكنايات الدقيقة في مسلكها الخلابة في صياغتها ، لكنها قليلة في ديوان الخيل حيث لم أعثر إلا على موضع واحد لها .

وبعد ، فإني أوصي الباحثين والمؤلفين في الكنايات أن ينهلوا من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذه الأمثلة الجمة في تقعيد القواعد والاستدلال على الشواهد بدلا من المُثُل والشواهد المكررة أو المصطنعة التي يعتمد عليها المؤلفون في دروس البلاغة المختلفة ، فهذه الشواهد في الكناية ، ومن قبل شواهد الاستعارات تعد تجديدا للشواهد البلاغية في هذين الموضوعين ، أدعو الباحثين أن يضعوها أمام أعينهم والاستفادة منها .

كما أدعو إخواني الباحثين إلى الرجوع إلى ديوان الخيل ، ففيه مادة علمية غزيرة في شتى المعارف والعلوم اللغوية صالحة لأن يُستمد منها أبحاث متنوعة ، وقد اكتفيت بدراسة معظم التشبيهات وكل الاستعارات والكنايات في هذا الديوان ، وأدعوهم إلى مدارسة بقية فنونه لتتنوع المذاهب ، وتتعدد الأفكار ، والله ولي التوفيق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- الاختيارين صنعة الأخفش الأصغر ، تحقيق د / فخر الدين قباوة ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .
- أدب الكاتب لابن قتيبة تحقيق / محمد الفاضلي ، دار الجيل ، بيروت ٢٠٠١م .
- أساس البلاغة للزمخشري ، مكتبة لبنان ، ط الأولى ، ١٩٩٦م .
- أسماء خيل العرب وفرسانها ، لابن الأعرابي تحقيق د/ محمد عبد القادر أحمد ، ملتزم الطبع والنشر، مكتبة النهضة المصرية ، ١٤٠٤هـ .
- أسماء خيل العرب وأنسابها وذكر فرسانها للغندجاني، حققه وقدم له الدكتور/ محمد علي سلطان ، مؤسسة الرسالة .
- إصلاح المنطق لابن السكيت ، شرح وتحقيق / أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة .
- الأصمعيات ، تحقيق / أحمد محمد شاكر، وعبد السلام هارون، دار المعارف.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .
- الإفصاح عما تضمنه الإيضاح من مباحث البيان، أحمد محمد النجار ، دار الاتحاد.
- الأمالي لأبي علي القالي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام لابن الكلبي، تحقيق / أحمد زكي ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب سنة ١٩٤٦م ، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ـ ١٩٦٥ م .
- الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي تحقيق صالح مهدي العزاوي ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وزارة الثقافة والإعلام دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ط الثانية ١٩٨٧م .
ـ الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني تح . د عبد القادر حسين ، مكتبة الآداب .
ـ بلاغة الاستعارة في ديوان الخيل في الجاهلية د/ عبد الله سرحان بحث محكم منشور في حولية كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد "٢٥" عام ٢٠٠٧م .
ـ التصوير البياني د/ محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة ط٢، ١٩٨٠م .
ـ الحماسة لأبي تمام ، تحقيق د/ عبد الله عسيلان ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
ـ الحيوان للجاحظ، تحقيق/ عبد السلام هارون ، دار الجيل ، ١٤١٧هـ .
ـ كتاب الخيل لأبي عبيدة تحقيق محمد عبد القادر ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ .
ـ دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي .
ـ ديوان أبي دؤاد الإيادي ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي لغوستاف غرنباوم ترجمة إحسان عباس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٥٩ م .
ـ ديوان أبي طالب ، جمعه د/ محمد التونجي، دار الكتاب العربي ، ط٢، ١٩٩٧م.
ـ ديوان الأخطل شرح راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٢م .
ـ ديوان الأعشى ـ دار صادر ـ بيروت .
ـ ديوان الأفوه الأودي ت د/ محمد التونجي، دار صادر، ١٩٩٨م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ ديوان امرئ القيس بن حجر، تحقيق/محمد أبو الفضل، ط ٥ ، دار المعارف.
ـ ديوان أمية بن أبي الصلت ، حققه د/ سجيع جميل ، دار صادر، ١٩٩٨م.
ـ ديوان أوس بن حجر ، دار صادر ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
ـ ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ، قدم له وشرحه مجيد طراد ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤ .
ـ ديوان بني بكر في الجاهلية ، جمع وشرح وتوثيق ودراسة د/ عبد العزيز نبوي ، دار الزهراء للنشر بالقاهرة ، مطبعة المدني، ط الأولى ١٤١٠ هـ.
ـ ديوان تميم بن أبي بن مقبل شرح/ مجيد طراد، دار الجيل، ١٩٩٨م.
ـ ديوان حاتم الطائي ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م .
ـ ديوان شعر الحادرة ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ .
ـ ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق د/سيد حنفي حسنين ، دار المعارف .
ـ ديوان الحطيئة ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان .
ـ ديوان الحماسة لأبي عبادة البحتري ، وضع حواشيه محمود رضوان ديوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩ م .
ـ ديوان الخرنق بنت بدر حققه / يسري عبد الغني ، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م .
ـ ديوان الخنساء ، منشورات دار الفكر ، بيروت .
ـ ديوان الخيل في الجاهلية جمع وشرح وتحقيق د/عبد الله سرحان ، م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التركي بطنطا الطبعة الاولى ، ٢٠٠٥م حقوق الطبع محفوظة .
ـ ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق د / عمر عبد الرسول ، دار المعارف .
ـ ديوان ربيعة بن مقروم ، تحقيق تماضر عبد القادر ، دار صادر ١٩٩٩.
ـ ديوان زهير بن جناب ، صنعة . د / محمد شفيق البيطار ، دار صادر .
ـ ديوان زيد الخيل، صنعة د/ نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان النجف الأشرف
ـ ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق/عبد العزيز الميمني ، دار الكتب ، ط٢ .
ـ ديوان سلامة بن جندل ، ت د/ فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية ، ط٢ .
ـ ديوان شعر الأيام، جمع وتحقيق د/عفيف عبد الرحمن ، دار صادر ١٩٩٨م .
ـ ديوان طرفة بن العبد ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان .
ـ ديوان طفيل الغنوي ، تحقيق حسان أوغلي، دار صادر، ١٩٩٧م
ـ ديوان عامر بن الطفيل، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٢ م .
ـ ديوان عبيد بن الأبرص ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٩م .
ـ ديوان عدي بن زيد، حققه/ محمد جبار المعيبد ، العراق ١٩٦٥ م .
ـ ديوان علقمة بن عبدة شرح/ سعيد مكارم دار صادر، بيروت ، ١٩٩٦م.
ـ ديوان عمرو بن قميئة ت/حسن كامل الصيرفي معهد المخطوطات العربية١٩٦٥م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ ديوان عمرو بن كلثوم شرح /عبد القادر مايو ، دار القلم العربي حلب.
ـ ديوان قيس بن الخطيم حققه د/ ناصر الدين الأسد ، مكتبة دار العروبة ، ١٩٦٢م .
ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، بيروت .
ـ ديوان المتلمس الضبعي ت د/ محمد التونجي ، دار صادر ، ١٩٩٨م .
ـ ديوان المتنبي ، شرح العكبري ، تحقيق مصطفى السقا ، وآخرون .
ـ ديوان المرقشين ، المرقش الأكبر "عمرو بن سعد " ، والمرقش الأصغر " عمرو بن حرملة " تحقيق / كارين صادر ، دار صادر ، ١٩٩٨م.
ـ ديوان مهلهل بن ربيعة، تقديم طلال حرب، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.
ـ ديوان النابغة الجعدي تح. د/ واضح الصمد، دار صادر بيروت ، ١٩٩٨ م .
ـ ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد أبو الفضل ، دار المعارف ط الثانية .
ـ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٢م.
ـ السيرة النبوية لابن هشام، حققها مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، دار المغني، الرياض ، دار الكلم الطيب، دمشق ١٤٢٠هـ .
ـ ديوان الهذليين ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥م .
ـ شرح ديوان الحماسة للمرزوقي نشره / أحمد أمين ، وعبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .
ـ شرح ديوان عنترة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ـ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ـ شعر بني عبس في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي جمعا وتحقيقا ودراسة ، تأليف د / عبد العزيز بن محمد الفيصل ، ١٤١١هـ .

ـ شعر بني تميم في العصر الجاهلي ، جمع وتحقيق د / عبد الحميد محمود المعيني ، من منشورات دار القصيم الأدبي ، بريدة ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢ م

ـ شعر خداش بن زهير د/ يحيى الجبوري ، مجمع اللغة العربية بدمشق ـ ١٩٨٦م .

ـ شعر زهير بن أبي سُلمى ، صنعة الأعلم الشنتمري ، تحقيق د / فخر الدين قباوة ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م .

ـ شعر ضبة وأخبارها في الجاهلية والإسلام ، صنعة د/ حسن بن عيسى أبو ياسين ، الناشر عمادة شئون المكتبات ـ جامعة الملك سعود ١٤١٦هـ .

ـ شعر طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام جمع وتحقيق ودراسة ، د / وفاء فهمي السندوبي دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ، ١٩٨٣ م

ـ شعر عمرو بن شأس د / يحيى الجبوري ، دار القلم ، ط ٢، ١٩٨٣م .

ـ شعر عمرو بن معد يكرب جمعه/مطاع الطرابيشي ، دار البيان ، ١٩٩٤م .

ـ شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام ، جمع وتحقيق د/ وفاء فهمي السنديوني ، النشر العلمي والمطابع ـ جامعة الملك سعود .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي ، جمعا وتحقيقا ودراسة ، / محمد بن عبد الله منور ، نادي جازان الأدبي ٢٠٠٠ م
- شعر همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام ، جمع وتحقيق ودراسة د / حسن عيسى أبو ياسين ، دار العلوم بالرياض ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م .
- شعراء النصرانية في الجاهلية جمعه الأب لويس شيخو ، مكتبة الآداب.
- الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي ط٢.
- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ، شرحه ، أحمد أمين ، إبراهيم الإبياري عبد السلام هارون ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
- العمدة لابن رشيق ، تحقيق محمد محيي الدين ، دار الجيل ، ١٩٧٢م.
- قصائد جاهلية نادرة د/ يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢م .
- قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب د/ حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ١٩٨٣م .
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد ، تعليق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ط٣ (١٤١٧هـ ١٩٩٧م) .
- لسان العرب لابن منظور، طبع دار صادر، بيروت ، ط الأولى ١٤١٠هـ .
- المثل السائر لابن الأثير علق عليه د/الحوفي ، ود طبانة ، دار نهضة مصر .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء للراغب الأصفهاني .
- المعاني الكبير لابن قتيبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٤٠٥هـ .

ـ معجم أسماء خيل العرب وفرسانها حمد الجاسر ، مرام للطباعة الالكترونية .

ـ معجم الشعراء للمرزباني، تح/عبد الستار فراج، الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ـ مفتاح العلوم حققه د/عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م.

ـ المفضليات، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف ط٧.

ـ الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري للآمدي تحقيق السيد أحمد صقر ، ود/ عبد الله حمد محارب ، مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠ م .

ـ المؤتلف والمختلف للآمدي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٣٨١هـ - ١٩٦١ م .

ـ النقائض لأبي عبيدة طبع في مدينة ليدن بمطبعة بريل ١٩٠٥ م .

ـ نقد الشعر لقدامة تحقيق د/ خفاجي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٨٠م .

ـ الوحشيات لأبي تمام علق عليه وحققه عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهرس الموضوعات

الموضوع

المقدمة : .....

التمهيد : .....

المبحث الأول : بلاغة الكناية عن صفة في ديوان الخنساء في الجاهلية.....

أولاً : الكنايات الحسية .....

ثانيًا : الكنايات المعنوية .....

المبحث الثاني : بلاغة الكناية عن موصوف في ديوان الخنساء في الجاهلية.

المبحث الثالث : بلاغة الكناية عن نسبة في ديوان الخنساء في الجاهلية

الخاتمة : .....

فهرس أهم المصادر والمراجع : .....

• • •

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner